سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٢٨)

الشعر و الشعراء

في مصنفات ابن تيمية

د / يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

١-"وذلك أن مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام، وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى، وشعر مفتعل، وإليهما أشار أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - لما قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به : يا خليفة رسول الله، تألف الناس . فأخذ بلحيته وقال : يا بن الخطاب، أجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام ؟ علام أتألفهم ؟ أعلى حديث مفترى أم شعر مفتعل ؟ يقول : إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الأسدي .

وهذان النوعان، هما اللذان يعارض بهما القرآن أهل الفجور والإفك المبين، قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة :٣٨ : ٤٣] ، وقال تعالى : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين ﴾ **[الشعراء**: ١٩٢، ١٩٣]، إلى قوله : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ إلى آخر السورة .

فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، **والشعراء** الغاوين، ونزهه عن هذين الصنفين، كما في سورة الحاقة . وقال تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي بعرش مكين ﴾ إلى آخر السورة . فالرسول هنا جبريل، وفي الآية الأولى محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا نزه محمدا هناك عن أن يكون **شاعرا** أو كاهنا، ونزه هنا الرسول إليه أن يكون من الشياطين .

الوجه الحادي عشر : قول القائل : بل هذا هو الحق الصريح المتبع، لا ما يرى المنحرف عن مناهج الإسلام ودينه، المتحير في بيداء ضلالته وجهله .". (١)

٣-"فصل وأما قول القائل : أنتم تعتقدون أن موسى سمع كلام الله منه حقيقة من غير واسطة . وتقولون إن الذي تسمعونه كلام الله حقيقة ، وتسمعونه من وسائط بأصوات مختلفة فما الفرق بين ذلك . فيقال له : بين هذا وهذا من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق فإن كل عاقل يميز بين سماع كلام النبي صلى الله عليه وسلم منه بغير واسطة كسماع الصحابة منه ، وبين سماعه منه بواسطة المبلغين عنه كأبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر وابن عباس ، وكل من يسمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة ، وكذلك من سمع شعر حسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة أو غيرهما من **الشعراء** منه بلا واسطة ، ومن سمعه من الرواة عنه ؛ يعلم الفرق بين هذا وهذا ، وهو في الموضعين شعر حسان لا شعر غيره ، والإنسان إذا تعلم شعر غيره ، فهو يعلم أن ذلك **الشاعر** أنشأ معانيه ونظم حروفه بالأصوات المقطعة يرويه بحركة نفسه وأصوات نفسه ، فإذا كان هذا الفرق معقولا في كلام المخلوقين ، بين سماع الكلام من المتكلم به ابتداء ، وسماعه بواسطة الراوي عنه

(١) أحكام المرتد عند شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦١/١

أو المبلغ عنه . فكيف لا يعقل ذلك في سماع كلام الله . وقد تقدم أن من ظن أن المسموع من". (١)

٤-" من كتاب الله

وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون * وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين * وإنه لتذكرة للمتقين * وإنا لنعلم أن منكم مكذبين * وإنه لحسرة على الكافرين * وإنه لحق اليقين * فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ إلى قوله : ﴿ إن كانوا صادقين ﴾

فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم عمن تقترن به الشياطين من الكهان **والشعراء** والمجانين وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه وقال تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ الاية وقال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله : ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ فسماه الروح الأمين وسماه روح القدس وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس ﴾ يعني الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي مختفية قبل طلوعها فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ أي إذا أدبر وأقبل الصبح ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ أي أقبل ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين ﴾ أي مطاع في السماء أمين ثم قال : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ أي صاحبكم الذي من الله عليكم به إذ بعثه إليكم رسولا من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون * ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ أي رأى جبريل عليه السلام ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ أي بمتهم وفي القراءة الأخرى ﴿ بضنين ﴾ أي ببخيل يكتم العلم ولا يبذله إلا بجعل كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا كما نزه محمدا صلى الله عليه و سلم عن أن يكون **شاعرا** أو كاهنا ". (٢)

٦-" وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء كان من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم ولفظ الجاهلية قد يكون اسما للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة وقد يكون اسما لذي الحال

---

(١) إقامة الدليل على إبطال التحليل ٣/٣٩٠

(٢) أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/١١٨

فمن الأول قول النبي صلى الله عليه و سلم لأبي ذر رضي الله عنه إنك امرؤ فيك جاهلية وقول عمر إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة وقول عائشة كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء وقولهم يا رسول الله كنا في جاهلية وشر أي في حال جاهلية أو طريقة جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك

فإن لفظ الجاهلية وإن كان في الأصل صفة لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما ومعناه قريب من معنى المصدر

وأما الثاني فتقول طائفة جاهلية **وشاعر** جاهلي وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا فإن قال خلاف الحق عالما بالحق أو غير عالم فهو جاهل أيضا كما قال تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال النبي صلى الله عليه و سلم إذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل ومن هذا قول بعض **الشعراء** ... ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا ...

وهذا كثير وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه ". (١)

٧-"ص -٢٥٦- فإن الجاهلية - وإن كانت في الأصل صفة، لكنه غلب عليه الاستعمال حتى صار اسما، ومعناه قريب من معنى المصدر، وأما الثاني فتقول: طائفة جاهلية، **وشاعر** جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم، أو عدم إتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق، فهو جاهل جهلا بسيطا، فإن اعتقد خلافه: فهو جاهل جهلا مركبا، فإن قال خلاف الحق عالما بالحق، أو غير عالم: فهو جاهل أيضا، كما قال تعالى: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إذا كان أحدكم صائما، فلا يرفث ولا يجهل ".
ومن هذا قول بعض **شعراء** العرب:". (٢)

٨-"ص -١١٤- ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم لقالوا : هذا خبر واحد، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح لا واحد ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يثبت به أدنى شيء من اللغة، فضلا عن مسمى الكلام . ثم يقال : مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول **شاعر**، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم، كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل .
وأيضا، فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم

---

(١) اقتضاء الصراط ص/٧٧

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٤/١٦٤

من استعمالهم .

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر، أي : أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال :

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا . وقوله : مع الكلام : دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاما، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله : [مع الكلام] مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك .". (١)

٩-"ص -١١٥- و بالجملة، فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني كافر مثلث، واسمه الأخطل، والخطل فساد في الكلام، وهو نصراني والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله .

فتبين أنه إن كان الإيمان في اللغة هو التصديق، والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول، ولم يسم العمل تصديقا، فليس الصواب إلا قول المرجئة : إنه اللفظ والمعنى . أو قول الكرامية : إنه قول باللسان فقط، فإن تسمية قول اللسان قولا أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولا، كقوله تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ [الفتح : ١١] ، وقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ [البقرة : ٨] وأمثال ذلك، بخلاف ما في النفس، فإنه إنما يسمى حديثا . والكرامية يقولون : المنافق مؤمن وهو مخلد في النار؛ لأنه آمن ظاهرا لا باطنا، وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا .

قالوا : والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ [النساء : ٩٢] ويخاطب في الظاهر بالجمعة، والطهارة، وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا .

وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه، فإنه لا يعلق به شيء من أحكام الإيمان، لافي الدنيا ولا في الآخرة، ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله :". (٢)

١٠-" معاذ لرسول الله ص لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا

---

(١) الإيمان ٢/١٧٣

(٢) الإيمان ٢/١٧٤

قلت هذا القول لابي موسى كان لم يكن لمعاذ ومضمون هذه الآثار استحباب تحسين الصوت بالقرآن وهذا مما لا نزاع فيه فالاستدلال بذلك على تحسين بالغناء أفسد من قياس الربا على البيع إذ هو من باب تنظير الشعر بالقرآن

وقال تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له إن هو إلا ذكر وقرآن مبين سورة يس ٦٩

وقال تعالى وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون سورة **الشعراء** ٢١٠ ٢١٢ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون سورة **الشعراء** ٢٢٥٢٢٦

وقال تعالى وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون سورة الحاقة ٤١٤٢

وهذا القياس مثل قياس سماع المكاء والتصدية الذي ذمه الله في كتابه وأخبر أنه صلاة المشركين على سماع القرآن الذي أمر الله به في كتابه وأخبر أنه سماع النبيين والمؤمنين وقياس لأئمة الصلاة كالخلفاء الراشدين وسائر أئمة المؤمنين بالمخنثين المغاني الذين قد يسمون الجد أو القوالين ". (١)

١١-" أنيسا فأتى بصرمتنا ومثلها معها قال وقد صليت يا ابن أخي قبل أن ألقى رسول الله بثلاث سنين قلت لمن قال لله قلت فأين توجه قال أتوجه حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس فقال أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي ثم جاء فقلت ما صنعت قال لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت فما يقول الناس قال يقولون **شاعر** كاهن ساحر وكان أنيس أحد **الشعراء** قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء **الشعراء** فما يلتئم على لسان أحد يقرى بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون قال قلت فاكفني حتى أذهب فأنظر قال فأتيت مكة فضعفت رجلا منهم فقلت أين هذا الذي ". (٢)

١٢-"ص -٢١٦- حيث يوجهني ربي أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقيت كأني خفاء حتى تعلوني الشمس فقال أنيس إن لي حاجة بمكة فاكفني فانطلق أنيس حتى أتى مكة فراث علي ثم جاء فقلت ما صنعت قال لقيت رجلا بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله قلت فما يقول الناس قال يقولون **شاعر** كاهن ساحر وكان أنيس أحد **الشعراء** قال أنيس لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعت قوله على أقراء **الشعراء** فما يلتئم على لسان أحد يقرى بعدي أنه شعر والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون قال قلت فاكفني حتى أذهب فأنظر قال فأتيت مكة فضعفت رجلا منهم فقلت أين هذا الذي تدعونه الصابىء فأشار إلي فقال الصابىء فمال علي أهل الوادي بكل مدرة وعظم حتى خررت مغشيا علي وذكر الحديث وصفة إسلامه رضي الله عنه بلفظ مسلم.

وفي حديث البخاري عن ابن عباس أن أبا ذر أرسل أخاه وقال اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من

(١) الاستقامة ١/٣٧٥

(٢) الجواب الصحيح ٥/٣٦٥

السماء فاسمع من قوله ثم ائتني فانطلق الآخر حتى قدم". (١)

١٣-"١- الهامش).

وروايات نصر بن مزاحم: ٤/٤٥٨، ٤٦٥، ٤٨٥، ٤٨٧. (انظر: فهارس الطبري التي وضعها أبو الفضل إبراهيم في ج١٠ من التاريخ).].

وكما في كتابات المسعودي في مروج الذهب، واليعقوبي في تاريخه.. وقد أشار الأستاذ محب الدين الخطيب في حاشية العواصم إلى أن التدوين التاريخي إنما بدأ بعد الدولة الأموية، وكان للأصابع الباطنية والشعوبية المتلفعة برداء التشيع دور في طمس معالم الخير فيه وتسويد صفحاته الناصعة [انظر: العواصم من القواصم (الحاشية) ص:١٧٧.].

ويظهر هذا الكيد لمن تدبر كتاب العواصم من القواصم لابن العربي مع الحاشية الممتازة التي وضعها عليه العلامة محب الدين الخطيب.

لقد سود شيوخ الروافض آلاف الصفحات بسب أفضل قرن عرفته البشرية، وصرفوا أوقاتهم وجهودهم لتشويه تاريخ المسلمين.

وكانت هذه المادة "الرافضية" الكبيرة والتي تجدها في كتب التاريخ التي وضعها الروافض، أو شاركوا في بعض أخبارها، وتراها في كتب الحديث عندهم كالكافي، والبحار، وفي ما كتب شيوخهم في القديم كإحقاق الحق، وفي الحديث ككتاب الغدير.

هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائهة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم.

وجاء ذلك الجيل المهزوم روحيا، والذي يرى في الغرب قدوته وامثولته من المستغربين فتلقف ما كتبته الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله.. وتبنى أفكارهم ونشر شبهاتهم في ديار المسلمين.

وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافاتهم، وكان الرفض هو الأصل في هذا الشر كله.

وإن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالشيعة لهي موضوع هام يستحق الدراسة والتتبع.. ولا يمكن بحال أن نخوض غماره في هذا البحث لضيق المجال، وحسبنا أن نشير إليه وننبه عليه.

لقد بدأت استفادة العدو الكافر من شبهات الروافض وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ وقت ليس بالقريب.

ففي عصر الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) كان النصارى يتخذون من فرية الروافض حول كتاب الله سبحانه حجة لهم في مجادلة أهل الإسلام، وقد أجاب ابن حزم عن ذلك بكل حزم فأبان أنه لا عبرة بأقوال هذه الفئة، لأن الروافض ليسوا من المسلمين [انظر: ص(١٢٥٦) من هذه الرسالة.].

أثرهم في الأدب العربي:

لم يسلم الأدب ودولة الشعر والنثر من تأثير أهل التشيع فيه، وقد ترك التشيع بصماته "السوداء" على الأدب العربي.. وقد

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ٢٣٤/٦

استغل "**شعراء**" الشيعة وخطباؤها ما يسمى بمحن آل البيت في إثارة عواطف الناس واستجاشة **مشاعرهم** وإلهاب العواطف والنفوس، وتحريكها ضد الأمة ودينها.

وتلمس في بعض ما وصلنا من "أدب" بعض الاتجاهات العقدية عند الشيعة، وتلمح المبالغة في تصوير ما جرى على أهل البيت من محن، واستغلال ذلك في نشر التشيع، والطعن في الصحابة رضوان الله عليه.

وقد أجهد رواد التشيع أنفسهم في نشر الخرافات والأساطير عن أئمتهم في ثوب قصصي مثير، أو في خطبة أو في شعر مبالغ في الغلو في مدح الأئمة.

ولقد تأثرت عقائد العامة وتصوراتهم، حتى أثر ذلك على عقيدة التوحيد عندهم فاتخذوا من الأئمة أربابا من دون الله.

يقول الأستاذ محمد سيد كيلاني:

"فترى أن التشيع قد أخرج لونا من الأدب كان سببا في الهبوط بالمسلمين إلى هوة سحيقة من التأخر والانحطاط، وقد أفلح الوهابيون في القضاء على كثير من هذه الخرافات في داخل بلادهم، أما في الأقطار الإسلامية الأخرى فالحال باقية كما هي عليه حتى بين طبقة المتعلمين" [أثر التشيع في الأدب العربي/ محمد سيد كيلاني: ص٤٣، دار الكتاب العربي بمصر.].

ويكفي هذا مطالعة القصيدة المشهورة والمعتمدة عندهم وهي "القصيدة الأزرية" [وتسمى القصيدة الهائية لشيخهم محمد كاظم الأزري المتوفى سنة ١٢١١هـ (الذريعة: ١٧/١٣٥)، وللأستاذ محمود الملاح نقد لهذه القصيدة سماه "الرزية في القصيدة الأزرية" ذكر أنه قدم لها شيخهم محمد رضا المظفر، وقال - نقلا عن المظفر -: إن شيخهم صاحب الجواهر (وهو محمد بن حسن بن باقر النجفي المتوفى سنة ١٢٦٦هـ، والجواهر هو شرح "شرائع الإسلام" من كتبهم المعتمدة في الفقه. انظر: محمد جواد مغنية/ مقدمته لـ "شرائع الإسلام") كان يتمنى أن تكتب في ديوان أعماله "القصيدة الأزرية" مكان كتابه "جواهر الكلام" ثم ذكر بعض أبياتها وهي تعج بالكفر الصريح، كقوله عن علي:

وهو الآية في المحيط في الكون ففي عين كل شيء تراها

وقوله:

كل ما في القضاء من كائنات أنت مولى بقائها وفناها

(انظر: الرزية في القصيدة الأزرية: ص٣٣-٣٥).]." [1]

١٤-" من وجود كثيرة والصادق يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة بل كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي ص - أنه قال عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب

---

(١) الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة ص/٢٠

عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا

ولهذا قال تعالى قل هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تتنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ولا **شاعر** حيث كانوا يقولون ساحر **وشاعر** فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر يلقون إليهم السمع وأكثرهم كاذبون فهؤلاء الكهان ونحوهم وإن كانوا يخبرون أحيانا بشيء من المغيبات ويكون صدقا فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بأنبياء

ولهذا لما قال النبي ص – لابن صياد قد خبأت لك خبيئا قال هو الدخ قال له النبي ص – إخسأ فلن تعدو قدرك يعني إنما أنت كاهن كما قال للنبي ص – يأتيني صادق وكاذب وقال أرى عرشا على الماء وذلك هو عرش الشيطان كما ثبت مثل ذلك في الصحيح عن النبي ص – وبين الله تعالى أن **الشعراء** يتبعهم الغاوون والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته وإن كان ذلك مضرا له في العاقبة قال تعالى ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون فهذه صفة **الشعراء** كما أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله ". (١)

١٥–"وأكثرهم كاذبون ﴾ ﴿ **والشعراء** يتبعهم الغاوون ﴾ ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ﴾ ﴿ وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ﴾ ﴿ وما لا تبصرون ﴾ ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ﴿ وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ﴾ ﴿ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ﴾ ﴿ لأخذنا منه باليمين ﴾ ﴿ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ ﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ ﴿ وإنه لتذكرة للمتقين ﴾ ﴿ وإنا لنعلم أن منكم مكذبين ﴾ ﴿ وإنه لحسرة على الكافرين ﴾ ﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون ﴾ إلى قوله : ﴿ إن كانوا صادقين ﴾ . فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عمن تقترن به الشياطين من الكهان **والشعراء** والمجانين ؛ وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾ ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ﴿ على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ ﴿ بلسان عربي مبين ﴾ وقال تعالى : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله ﴿ وبشرى للمسلمين ﴾ فسماه الروح الأمين وسماه روح القدس . وقال تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ ﴿ الجواري الكنس ﴾ يعني : الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي : مختفية قبل طلوعها فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ أي إذا أدبر وأقبل الصبح ﴿

---

(١) العقيدة الأصفهانية ص/١٢٢

والصبح إذا تنفس ﴾ أي أقبل ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ وهو جبريل عليه السلام ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾ ﴿ مطاع ثم أمين ﴾ أي مطاع في السماء أمين ثم قال : ﴿ وما صاحبكم بمجنون ﴾ أي صاحبكم الذي من الله عليكم به إذ بعثه إليكم رسولا من جنسكم يصحبكم إذ كنتم لا تطيقون أن تروا الملائكة كما قال تعالى : ﴿ وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ﴾ ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ الآية . وقال تعالى : ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ أي رأى جبريل عليه السلام ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ أي بمتهم وفي القراءة الأخرى : ﴿ بضنين ﴾ أي ببخيل يكتم العلم ولا يبذله إلا بجعل كما يفعل من يكتم العلم إلا بالعوض . ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ فنزه جبريل عليه السلام عن أن يكون شيطانا كما نزه محمدا صلى الله عليه وسلم عن أن يكون **شاعرا** أو كاهنا .". [1]

١٦-"× في مادة (قضى): =القاف، والضاد، والحرف المعتل _ أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.

قال الله _ تعالى _:[فقضاهن سبع سماوات في يومين] فصلت:١٢.

أي أحكم خلقهن، ثم قال أبو ذؤيب الهذلي(١):

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو نسج السوابغ تبع(٢)

()

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق(٣).

---

(١) هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد الهذلي، **شاعر** مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي " فأسلم وحسن إسلامه، له قصائد جياد، وشعره كله على نمط في الجودة وحسن السبك، قال ابن شبة: =تقدم أبو ذؤيب جميع **شعراء** هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه+، توفي في غزو إفريقية مع ابن الزبير.

انظر الشعر **والشعراء**، لابن قتيبة، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحه، وراجعه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ_١٩٨٥م، ص٤٣٥_٤٣٧، وانظر معجم الأدباء ٣/٣٠٦_٣٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٩٩.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ص٤٤١_٤٤٢، وانظر المفردات لغريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣، وانظر لسان العرب لابن منظور ١٥/١٨٦، والقاموس للفيروزأبادي ص١٧٠٨.". [2]

---

[1] الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص/٥٥

[2] القصيدة التائية في القدر لابن تيمية دراسة وتحقيق وشرح ص/٢٣

١٧-"فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد(١)

وقول سويد بن أبي كاهل(٢):

كتب الرحمن والحمد له ... سعة الأخلاق فينا والضلع(٣)

وقول المثقب العبدي(٤):

فأيقنت إن شاء الإله بأنه ... سيبلغني أجلادها وقصيدها(٥)

وقول زهير:

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم(٦)

---

(١) شرح المعلقات العشر، للزوزني، ص١١٩.

(٢) هو سويد بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر بن بكر ابن وائل بن قاسط، **شاعر** مقدم مخضرم، عاش في الجاهلية دهرا، وعمر في الإسلام عمرا طويلا، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠هـ، قرنه أبو عبيد بطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وكان أبوه **شاعرا**. انظر الشعر **والشعراء** لابن قتيبة ص٢٧٠_٢٧١، والمفضليات، للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ص١٩٠.

(٣) المفضليات للمفضل الضبي ص١٩٧.

(٤) هو عائذ الله بن حصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، **شاعر** فحل قديم جاهلي، سمي المثقب لقوله في قصيدة له:

ظهرن بكلة وسدلن رقما وثقبن الوصاوص للعيون

والوصاوص: البراقع. انظر المفضليات تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٤٩.

(٥) المفضليات ص١٥١.

(٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.". [1]

١٨-"ص -١٦٢- أهل البدع أحوالهم من إعانة الشياطين

والثالث: أن تعينه على محرمات؛ مثل الفواحش، والظلم، والشرك، والقول الباطل؛ فهذا من جنس خوارق السحرة، والكهان، والكفار، والفجار؛ مثل أهل البدع من الرفاعية١، وغيرهم؛ فإنهم يستعينون بها على الشرك، وقتل النفوس بغير حق،

---

(١) القصيدة التائية في القدر لابن تيمية دراسة وتحقيق وشرح ص/٣٥

والفواحش. وهذه الثلاثة هي التي حرمها الله في قوله: ﴿والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما﴾٢.

ولهذا كانت طريقهم من جنس طريق الكهان، **والشعراء**، والمجانين – وقد نزه الله نبيه عن أن يكون مجنونا، **وشاعرا**، وكاهنا٣ – فإن إخبارهم٤ بالمغيبات عن شياطين تنزل عليهم كالكهان، وأقوى أحوالهم لمؤلهيهم. وهم من جنس المجانين، وقد قال شيخهم: إن أصحاب الأحوال منهم يموتون على غير الإسلام. وأما سماعهم، ووجدهم فهو شعر **الشعراء**، ولهذا شبههم من رآهم بعباد المشركين؛ من الهند الذين يعبدون الأنداد.

---

١ تقدم التعريف بهم ص ١٨٠.

٢ سورة الفرقان، الآية ٦٨.

٣ قال تعالى: ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون **شاعر** نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾. [سورة الطور، الآيات ٢٩-٣١].

٤ يعني الكهان، **والشعراء**، والمجانين.". (١)

١٩-"ص -١٨٩- وقال تعالى عن كفار العرب: ﴿و[إن]١ يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾٢.

وإن نسبوه إلى عدم العلم، قالوا: مجنون؛ كما قالوا عن نوح: ﴿مجنون وازدجر﴾٣، وقالوا عن موسى: ﴿قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون﴾٤، وقال عن مشركي العرب: ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون﴾٥.

وقد قال تعالى:﴿[كذلك]٦ ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾٧.

فالسحر أمر معتاد في بني آدم، كما أن النبوة معتادة فيهم. كما أن العقلاء معتادون في بني آدم، والمجانين معتادون فيهم. فإذا قالوا عن الشخص: إنه مجنون؛ فإنه يعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله. وكذلك يعرف هل هو من جنس الأنبياء، أو من جنس السحرة.

وكذلك لما قالوا عن محمد: إنه **شاعر٨**؛ فإن **الشعراء** جنس". (٢)

٢٠-"________

١ ما بين المعقوفتين ملحق في ((خ)) بين السطرين.

٢ سورة القمر، الآية ٢.

٣ سورة القمر، الآية ٩.

---

(١) النبوات ٦/٤٥

(٢) النبوات ٧/٣٩

٤ سورة الشعراء، الآية ٢٧.

٥ سورة القلم، الآية ٥١.

٦ ما بين المعقوفتين ليس في ((م))، و ((ط)).

٧ سورة الذاريات، الآيتان ٥٢-٥٣.

٨ ذكر الله سبحانه وتعالى أن كفار مكة قالوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾. [الأنبياء ٥١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾. [يس ٦٩].

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية: "أي ما هو في طبعه؛ فلا يحسنه، ولا يحبه، ولا تقتضيه جبلته. ولهذا ورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يحفظ بيتا على وزن منتظم، بل إن أنشده زحفه، أو لم يتمه"، ثم ذكر رحمه الله أمثلة على ذلك. انظر: تفسير ابن كثير ٥٧٨/٣.". [(١)]

٢١-"________

١ قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه: خرجت أتعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم، فوجدته قد سبقني إلى المسجد، فقمت خلفه، فاستفتح سورة الحاقة، فجعلت أعجب من تأليف القرآن. قال: فقلت: هذا والله شاعر كما قالت قريش. قال: فقرأ: ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾. قال: فقلت: كاهن. قال: فقرأ: ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون...﴾. [الحاقة ٤٠-٤٢] أخرجه الإمام أحمد في مسنده. انظر: الفتح الرباني ٢٣٢/٢٠.

٢ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (وما يوجد في القرآن من مثل قوله: ﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾ [الكهف ١٠٤]، و ﴿إن ربهم بهم﴾ [العاديات ١١]، ونحو ذلك، فلم يتكلف لأجل التجانس، بل هذا غير مقصود بالقصد الأول؛ كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، ولم يقصد به الشعر؛ كقوله تعالى: ﴿وجفان كالجواب وقدور راسيات﴾ [سبأ ١٣]، وقوله: ﴿نبئ عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ [الحجر ٤٩]، ﴿ووضعنا عنك وزرك. الذي أنقض ظهرك﴾ [الشرح ٢-٣]، ونحو ذلك). منهاج السنة النبوية ٥٣/٣-٥٤. وانظر: الجواب الصحيح ٤٣٣/٥.

٣ سورة الشعراء، الآيات ٢٢١-٢٢٣.". [(٢)]

٢٢-"ص -١٩٧- وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة، بل هو أجنبي عنها، وهو أنقص ممن أراد أن يقرر أن في الدنيا فقهاء، وأطباء، وهو لم يعرف غير الشعراء؛ فاستدل بوجود الشعراء، على وجود الفقهاء، والأطباء. بل هذا المثال

---

(١) النبوات ٤٠/٧

(٢) النبوات ٤٢/٧

أقرب؛ فإن بعد النبوة عن غير الأنبياء أعظم من بعد الفقيه، والطبيب عن **الشاعر**، ولكن هؤلاء من أجهل الناس بالنبوة، ورأوا ذكر الأنبياء قد شاع، فأرادوا تخريج ذلك على أصول قوم لم يعرفوا الأنبياء.

فإن قيل: موسى، وغيره كانوا موجودين قبل أرسطو؛ فإن أرسطو كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة١.

وأيضا فقد قال الله تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾٢، وقال: ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾٣؛ فهذا يبين أن كل أمة قد جاءها رسول، فكيف لم يعرف هؤلاء الرسل ؟.

جوابان عن عدم معرفة الفلاسفة الأنبياء

قلت: عن هذا جوابان:

أحدهما: أن كثيرا من هؤلاء لم يعرفوا الرسل؛ كما قال: ﴿ومنهم

---

١ قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وكان أرسطو قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة، وهو وزير الاسكندر بن فيلبس المقدوني التي تؤرخ له التاريخ الرومي من اليهود والنصارى. وهذا كان مشركا يعبد هو وقومه الأصنام، ولم يكن يسمى ذا القرنين". الجواب الصحيح١/٣٤٥. وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٥/٦٨. ومنهاج السنة النبوية ١/٤٠٩.

٢ سورة النحل، الآية ٣٦.

٣ سورة فاطر، الآية ٢٤.". (١)

٢٣-"ص -٧٢٨- وقال النابغة١:

توهمت آيات لها فعرفتها لستة أعوام وذا العام سابع٢

قال: وهذا اختيار أبي عبيد٣"٤.

قلت٥: أما أن الآية هي العلامة في اللغة. فهذا صحيح، وما استشهد به من الشعر يشهد لذلك.

وأما تسمية الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة: صحيح، لكن قول القائل: إنها علامة؛ لانقطاع الكلام الذي قبلها وبعدها: ليس بطائل؛ فإن هذا المعنى الحد والفصل؛ فالآية مفصولة عما قبلها، وعما بعدها.

---

١ هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة. **شاعر** جاهلي من الطبقة الأولى، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ، فتقصده **الشعراء**، فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان بن ثابت، والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وهو أحد الأشراف في الجاهلية.

انظر: الأعلام للزركلي ٣٥٤-٥٥.

---

(١) النبوات ٧/٥١

٢ انظر: ديوان النابغة الذبياني ص ٨٢.

٣ لعله: القاسم بن سلام الهروي الخراساني، أبو عبيد. من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، من أهل هراة. ولد وتعلم بها، وكان مؤدبا، ورحل إلى بغداد، فولي القضاء بطرسوس، ورحل إلى مصر، وكان منقطعا للأمير عبد الله بن طاهر، كلما ألف كتابا أهداه إليه، وأجرى له عشرة آلاف درهم كل شهر. من كتبه: الغريب، المصنف، وفي غريب الحديث ألفه في نحو أربعين سنة، وهو أول من صنف في هذا الفن، والإيمان ومعالمه، وغيرها من المؤلفات. ولد في سنة ١٥٧ ؟، وتوفي سنة ٢٢٤ ؟.

انظر: سير أعلام النبلاء ١٠٤٩٠. وطبقات الحنابلة ١٢٥٩. والأعلام ٥١٧٦.

٤ زاد المسير ١٧١.

٥ القائل هو شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.". (١)

٢٤-"ص -٨٣٤- وهذا هو القياس الفاسد؛ فلما كان الشعر كلاما له فواصل ومقاطع، والقرآن آيات له فواصل ومقاطع، قالوا: شاعر. ولكن شتان١.

وكذلك الكاهن؛ يخبر ببعض المغيبات، ولكن يكذب كثيرا، وهو يخبر بذلك عن الشياطين، وعليه من آثارهم ما يدل على أنه أفاك أثيم؛ كما قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾، [ثم]٢ قال: ﴿والشعراء [يتبعهم الغاوون]٣ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾٤.

فذكر سبحانه الفرق بين النبي، وبين الكاهن والشاعر.

وكذلك الساحر؛ لما كان يتصرف في العقول النفوس بما يغيرها، وكان من سمع القرآن وكلام الرسول خضع له عقله ولبه، وانقادت له نفسه وقلبه، صاروا يقولون: ساحر، وشتان.

وكذلك مجنون؛ لما كان المجنون يخالف عادات الكفار وغيرهم، لكن بما فيه [فساد لا صلاح - والأنبياء جاؤوا بما يخالف عادات الكفار، لكن بما فيه]٥ صلاح لا فساد ، قالوا: مجنون، قال تعالى: ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون﴾٦.

فتارة يصفونه بغاية الحذق، والخبرة، والمعرفة؛ فيقولون: ساحر، وتارة بغاية الجهل، والغباوة، والحمق؛ فيقولون: مجنون.

---

١ سبق مثل ذلك. انظر ص ٢٢٠-٢٢١ من هذا الكتاب.

٢ ما بين المعقوفتين ملحق في ((خ)) بين السطرين.

٣ في ((ط)): يتبعه غاوون.

٤ سورة الشعراء، الآيات ٢٢١-٢٢٦.

---

(١) النبوات ٧/٢٣

٥ ما بين المعقوفتين ملحق بهامش ((خ)).

٦ سورة الذاريات، الآيتان ٥٢-٥٣.". (١)

٢٧-"ص -١٠٤٧- ولهذا جمع الله بين الكاهن **والشاعر**، في قوله: ﴿وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين﴾١.

وكذلك في **الشعراء**: ذكر الكاهن **والشاعر** بعد قوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين﴾٢، إلى قوله: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾٣ والرسول في آية الحاقة محمد.

وقال أيضا:﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالأفق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين﴾٤.

فلما أخبر به أنه قول رسول؛ هو ملك من الملائكة، نفى أن يكون قول شيطان. ولما أخبر هناك أنه قول رسول من البشر، نفى أن يكون قول **شاعر**، أو كاهن. فهذا تنزيه للقرآن نفسه.

ونزه الرسول أن يكون على الغيب بظنين: أي متهم، وأن يكون بمجنون؛ فالجنون: فساد في العلم، والتهمة: فساد في القصد. كما قالوا: ساحر، أو مجنون. وقال في الطور: ﴿فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون **شاعر** نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾٥.

---

١ سورة الحاقة، الآيات ٤١-٤٣.

٢ سورة **الشعراء**، الآيات ١٩٢-١٩٥.

٣ سورة **الشعراء**، الآيات ٢٢١-٢٢٣.

٤ سورة التكوير، الآيات ١٩-٢٧.

٥ سورة الطور، الآيات ٢٩-٣١.". (٢)

٢٨-" على مباحات كمن تعينه الجن على قضاء حوائجه المباحة فهذا متوسط وخوارقه لا ترفعه ولا تخفضه وهذا يشبه تسخير الجن لسليمان والأول مثل إرسال نبينا إلى الجن يدعوهم إلى الإيمان فهذا أكمل من إستخدام الجن في بعض الامور المباحة كاستخدام سليمان لهم في محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات قال تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجوابي وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور وقال تعالى ومن يزغ منهم

---

(١) النبوات ١١/٣٠

(٢) النبوات ٨٠/٤٠

عن أمرنا نذقه من عذاب السعير ونبينا صلى الله عليه و سلم أرسل اليهم يدعوهم إلى الإيمان بالله وعبادته كما أرسل إلى الإنس فاذا اتبعوه صاروا سعداء فهذا أكمل له ولهم من ذاك كما أن العبد الرسول أكمل من النبي الملك ويوسف وداود وسليمان أنبياء ملوك أما محمد فهو عبد رسول كابراهيم وموسى والمسيح وهذا الصنف أفضل وأتباعهم أفضل والثالث أن تعينه على محرمات مثل الفواحش والظلم والشرك والقول الباطل فهذا من جنس خوارق السحرة والكهان والكفار والفجار مثل أهل البدع من الرفاعية وغيرهم فانهم يستعينون بها على الشرك وقتل النفوس بغير حق والفواحش وهذه الثلاثة هي التي حرمها الله في قوله والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ويقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما ولهذا كانت طريقهم من جنس طريق الكهان **والشعراء** والمجانين وقد نزه الله نبيه عن أن يكون مجنونا **وشاعرا** وكاهنا فإن إخبارهم بالمغيبات عن شياطين تنزل عليهم كالكهان وأقوى أحوالهم لمؤلهيهم وهم من جنس المجانين وقد قال شيخهم إن أصحاب الأحوال منهم يموتون على غير الاسلام وأما سماعهم ووجدهم فهو شعر **الشعراء** ولهذا شبههم من رآهم بعباد المشركين من الهند الذين يعبدون الأنداد

فصل وحقيقة الأمر أن ما يدل على النبوة هو آية على النبوة وبرهان عليها فلا بد أن يكون مختصا بها لا يكون مشتركا بين الأنبياء وغيرهم فإن الدليل هو مستلزم لمدلوله لا يجب أن يكون أعم وجودا منه بل إما أن يكون مساويا له في العموم والخصوص أو يكون أخص منه وحينئذ فآية النبي لا تكون لغير الأنبياء ". (١)

٢٩-" تأمرون وقال للسحرة لما آمنوا إنه لكبيركم الذي علمكم السحر و ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها كل هذا من كذب فرعون وكانوا يقولون يا أيها الساحر ادع لنا ربك وكذلك المسيح قال تعالى وإذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين وقال تعالى عن كفار العرب وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وان نسبوه إلى عدم العلم قالوا مجنون كما قالوا عن نوح مجنون وازدجر وقالوا عن موسى ان رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون وقال عن مشركي العرب وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وقد قال تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فالسحر أمر معتاد في بني آدم كما أن النبوة معتادة في بني آدم والمجانين معتادون فيهم فاذا قالوا عن الشخص انه مجنون فانه يعلم هل هو من العقلاء أو من المجانين بنفس ما يقوله ويفعله وكذلك يعرف هل هو من جنس الانبياء أو من جنس السحرة وكذلك لما قالوا عن محمد انه **شاعر** فان **الشعراء** جنس معروفون في الناس وقالوا إنه كاهن وشبهة الشعر أن القرآن كلام موزون والشعر موزون وشبهة الكهانة أن الكاهن يخبر ببعض الامور الغائبة فذكر الله تعالى الفرق بين هذين وبين النبي فقال هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ثم قال **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وقال وما علمناه الشعر وما ينبغي له

---

(١) النبوات ص/١٢

إن هو إلا ذكر وقرآن مبين وقال تعالى وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولهذا لما عرض الكفار على كبيرهم الوحيد أن يقولوا للناس هو **شاعر** ". (١)

٣٠-" من أراد أن يتكلم في ذلك كالفارابي وغيره أن يجعلوا ذلك من جنس المنامات المعتادة ولما أراد طائفة كأبي حامد وغيره أن يقرروا إمكان النبوة على أصلهم احتجوا بأن مبدأ الطب ومبدأ النجوم ونحو ذلك كان من الانبياء لكون المعارف المعتادة لا تنهض بذلك وهذا إنما يدل على اختصاص من أتى بذلك بنوع من العلم وهذا لا ينكره عاقل وعلى هذا بنى ابن سينا أمر النبوة أنها من قوى النفس وقوى النفوس متفاوتة وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها وهو أنقص ممن أراد أن يقرر أن في الدنيا فقهاء وأطباء وهو لم يعرف غير **الشعراء** فاستدل بوجود **الشعراء** على وجود الفقهاء والاطباء بل هذا المثال أقرب فإن بعد النبوة عن غير الانبياء أعظم من بعد الفقيه والطبيب عن **الشاعر** ولكن هؤلاء من أجهل الناس بالنبوة ورأوا ذكر الانبياء قد شاع فأرادوا تخريج ذلك على أصول قوم لم يعرفوا الانبياء

فان قيل موسى وغيره كانوا موجودين قبل أرسطو فان أرسطو كان قبل المسيح بنحو ثلاثمائة سنة وأيضا فقد قال الله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين وقال إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير فهذا يبين أن كل أمة قد جاءها رسول فكيف لم يعرف هؤلاء الرسل قلت عن هذا جوابان أحدهما أن كثيرا من هؤلاء لم يعرفوا الرسل كما قال ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فلم تبق أخبار الرسول وأقواله معروفة عندهم الثاني أنه قال تعالى تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم فاذا كان الشيطان قد زين لهم أعمالهم كان في هؤلاء من درست أخبار الأنبياء عندهم فلم يعرفوها وأرسطو لم يأت إلى أرض الشام ويقال ان الذين كانوا قبله كانوا يعرفون الانبياء لكن المعرفة المجملة لا تنفع كمعرفة قريش كانوا قد سمعوا بموسى وعيسى وابراهيم سماعا من غير معرفة بأحوالهم ". (٢)

٣١-" برزة الاسلمي قبل أن يسلم كان كاهنا وقد قيل ان الذي أنزل الله تعالى فيه الم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا وقد ذكر قصته غير واحد من المفسرين ولما كان الذين يعارضون آيات الانبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم بل يكون بينهما شبه كشبه الشعر بالقرآن ولهذا قالوا في النبي إنه ساحر وكاهن **وشاعر** مجنون قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فجعلوا له مثلا لا يماثله بل بينهما شبه مع وجود الفارق المبين وهذا هو القياس الفاسد فلما كان الشعر كلاما له فواصل ومقاطع والقرآن آيات له فواصل ومقاطع قالوا **شاعر** ولكن شتان

---

(١) النبوات ص/٢٢

(٢) النبوات ص/٢٥

وكذلك الكاهن يخبر ببعض المغيبات ولكن يكذب كثيرا وهو يخبر بذلك عن الشياطين وعليه من آثارهم ما يدل على أنه أفاك أثيم كما قال تعالى هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ثم قال **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون فذكر سبحانه الفرق بين النبي وبين الكاهن **والشاعر** وكذلك الساحر لما كان يتصرف في العقول والنفوس بما يغيرها وكان من سمع القرآن وكلام الرسول خضع له عقله ولبه وانقادت له نفسه وقلبه صاروا يقولون ساحر وشتان وكذلك مجنون لما كان المجنون يخالف عادات الكفار وغيرهم لكن بما فيه فساد لا صلاح والانبياء جاءوا بما يخالف عادات الكفار لكن بما فيه صلاح لا فساد قالوا مجنون قال تعالى كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتارة يصفونه بغاية الحذر والخبرة والمعرفة فيقولون ساحر وتارة بغاية الجهل والغباوة والحمق فيقولون مجنون وقد ضلوا في هذا وهذا كما قال تعالى انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا فهم بمنزلة السائر في الطريق وقد ضل عنها يأخذ يمينا وشمالا ولا يهتدي الى السبيل التي تسلك والسبيل التي يجب سلوكها قول الصدق والعمل بالعدل ". (١)

٣٢-" هؤلاء شيوخا يسجعون أساجيع كأساجيع الكهان ويكون كثير منها صدقا ولهذا جمع الله بين الكاهن **والشاعر** في قوله وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين وكذلك في **الشعراء** ذكر الكاهن **والشاعر** بعد قوله وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين الى قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك اثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والرسول في آية الحاقة محمد وقال ايضا انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بضنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون إن هو إلا ذكر للعالمين فلما أخبر به أنه قول رسول هو ملك من الملائكة نفى أن يكون قول شيطان ولما أخبر هناك أنه قول رسول من البشر نفى أن يكون قول **شاعر** أو كاهن فهذا تنزيه للقرآن نفسه ونزه الرسول أن يكون على الغيب بظنين أي متهم وأن يكون بمجنون فالجنون فساد في العلم والتهمة فساد في القصد كما قالوا ساحر أو مجنون وقال في الطور فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون **شاعر** نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين وقد أخبر عن الانبياء قبله أنه ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون ولم يقولوا كاهن لأن الكاهن عند العرب هو الذي يتكلم بكلام مسجوع وله قرين من الجن وهذا الاسم ليس بذم عند أهل الكتاب بل يسمون أكثر العلماء بهذا الاسم ويسمون هارون وأولاده الذين عندهم التوراة بهذا الاسم والقدر المشترك العلم بالامور الغائبة والحكم بها فعلماء أهل الكتاب يخبرون بالغيب ويحكمون به عن الوحي الذي أوحاه الله وكهان العرب كانت تفعل ذلك عن وحي الشياطين وتمتاز بأنها تسجع الكلام بخلاف اسم الساحر فإنه اسم معروف في جميع الامم وقد يدخل في ذلك عندهم المخدوم الذي تخبره الشياطين ببعض الامور الغائبة ولكون

(١) النبوات ص/٢٢٢

الساحر يأتي ". (١)

٣٣-" وأكفر ولهذا اجتمع جماعة عظيمة بدمشق في سماع فأنشد فيه القوال شعرا لابن اسرائيل و كان **شاعرا** من **شعراء** الفقراء في شعره ايمان وكفر وهدىو ضلال و في شعره كثير من كلام الاتحادية لكن التلمساني و ابن الفارض أحذق في الاتحادمنه فأنشد القوال له ... وما أنت غير الكون بل أنت عينه ... ويفهم هذا السر من هوذايق ...

وكان هناك شيخ يعرف بالشيخ نجم الدين بن الحكيم صحب الشيخ اسماعيل الكوراني فانكر ذلك وتلا قوله تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم و التفت الى القوال و قال له قل ... وما أنت عين الكون بل أنت غيره ... و يشهد هذا الأمر من هو صادق ...

وهي واقعة مشهورة حدثني بها غيرواحد ممن شهدها ولقد أحسن هذا الشيخ التالي لهذه الآية في الرد على هذا الشعر الذي هو من أقوال الملاحدة و الاتحادية

و أيضا نبهوا بذلك على ضلال من يقول انه الله أو أن الله فيه من أهل الاتحاد و الحلول الخاص فان المسلمين يعلمون بضرورة حسهم و عقلهم أن الله ليس في أجوافهم ولا أحشائهم

ثم احتج الامام أحمد بالنصوص وقال و قد أخبرنا الله أنه في السماء فقال سبحانه أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض أم امنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا الآية وقال إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وقال اني متوفيك و رافعك الي و قال بل رفعه الله إليه وقال وله من في السموات ومن في الأرض ومن عنده و قال يخافون ربهم من ". (٢)

٣٤-"ص -٥٤٢- وأكفر ولهذا اجتمع جماعة عظيمة بدمشق في سماع فأنشد فيه القوال شعرا لابن اسرائيل و كان **شاعرا** من **شعراء** الفقراء في شعره ايمان وكفر وهدىو ضلال و في شعره كثير من كلام الاتحادية لكن التلمساني و ابن الفارض أحذق في الاتحاد منه فأنشد القوال له:

وما أنت غير الكون بل أنت عينه ويفهم هذا السر من هوذايق

وكان هناك شيخ يعرف بالشيخ نجم الدين بن الحكيم صحب الشيخ إسماعيل الكوراني فأنكر ذلك وتلا قوله تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ و التفت إلى القوال و قال له قل:

وما أنت عين الكون بل أنت غيره و يشهد هذا الأمر من هو صادق

وهي واقعة مشهورة حدثني بها غيرواحد ممن شهدها ولقد أحسن هذا الشيخ التالي لهذه الآية في الرد على هذا الشعر الذي هو من أقوال الملاحدة والاتحادية.

وأيضا نبهوا بذلك على ضلال من يقول أنه الله أو أن الله فيه من أهل الاتحاد و الحلول الخاص فإن المسلمين يعلمون

---

(١) النبوات ص/٢٨٨

(٢) بيان تلبيس الجهمية ٢/٥٤٢

بضرورة حسهم و عقلهم أن الله ليس في أجوافهم ولا أحشائهم.
ثم احتج الإمام أحمد بالنصوص وقال: "و قد أخبرنا الله أنه في السماء فقال سبحانه: ﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾ ﴿أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾ الآية وقال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ وقال: ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ و قال: ﴿بل رفعه الله إليه﴾ وقال: ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده﴾ وقال: ﴿يخافون ربهم من". (١)

٣٥-"من جهة نقل الحديث والآثار ، بطل العلم بمعناه ، فلا يصح الأمر بتدبره وعقله ، وهذا خلاف القرآن .
ثم لو ثبت النقل عن **الشاعر** العربي أو الناثر ، وعلم أنه أراد معنى بذلك اللفظ ، لكان ذلك لغة له قد أرادها باللفظ ، فلم يكن إثبات اللغة بمجرد هذا الاستعمال أولى من إثباتها بالاستعمال المنقول في الحديث والآثار ، ولا أولى من استعمال القرآن الموجود في نظائر ذلك اللفظ ، فإن اللفظ في القرآن يكون له نظائر ، ولهذا صنف العلماء كتب الوجوه والنظائر (١) ، ويروى ذلك عن السلف . فالوجوه : الألفاظ المشتركة ، والنظائر : الألفاظ المتواطئة ، الأول فيما اتفق لفظه واختلف معناه ، والثاني فيما اتفق لفظه ومعناه . فحمل معاني كلام الله على ما يوجد من اللغة في كلامه وكلام رسوله وكلام أصحابه الذين كانوا يتخاطبون بلغته ، والتابعين الذين أخذوا عنهم تلك اللغة = أولى من حمل معانيه على ما يوجد من اللغة في كلام بعض **الشعراء** والأعراب ، فإن كل احتمال يتطرق إلى فهم كلام هؤلاء يتطرق إلى فهم كلام أولئك لما يقولونه من النظم والنثر ، فإن المستمع لكلامهم يتطرق إلى فهمه لمعانيهم أكثر مما يتطرق إلى المستمع لكلام الرسول والصحابة والتابعين ، فما يذكر من احتمال مجاز أو اشتراك ونحو ذلك فتطرقه إلى كلامهم أكثر .
وهذا كله بطريق التنزل والتقرب إلى المنازع ، وإلا فالأمر أجل مما ذكر ، وذلك من طريقين : أحدهما بيان استقامة هذه الطريق ، والثاني بيان أنه لا طريق يقوم مقامها ، فيتعين .

---

(١) من أشهرها مؤلفات مقاتل بن سلمان والدامغاني وابن الجوزي .". (٢)

٣٦-" مثال ثالث : اللفظ بالقرآن
وكذلك مسألة اللفظ فإنه لما كان السلف والأئمة متفقين على أن القرآن كلام الله غير مخلوق وقد علم المسلمون أن القرآن بلغه جبريل عن الله إلي محمد صلى الله عليه و سلم وبلغه محمد إلي الخلق وأن الكلام إذا بلغه المبلغ عن قائله لم يخرج عن كونه كلام المبلغ عنه بل هو كلام لمن قاله مبتدئا لا كلام من بلغه عنه مؤديا
فالنبي صلى الله عليه و سلم إذا قال [إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى] وبلغ هذا الحديث عنه واحد بعد واحد حتى وصل إلينا كان من المعلوم أنا إذا سمعناه من المحدث به إنما سمعنا كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٥/٦٥
(٢) جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية-الجواب الأول ص/١٠

الذي تلكم به بلفظه ومعناه وإنما سمعناه من المبلغ عنه بفعله وصوته ونفس الصوت الذي تلكم به النبي صلى الله عليه و سلم لم نسمعه وإنما سمعنا صوت المحدث عنه والكلام كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم لا كلام المحدث

فمن قال : إن هذا الكلام ليس كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم كان مفتريا وكذلك من قال : إن هذا لم يتكلم به رسول الله صلى الله عليه و سلم وإنما أحدثه في غيره أو إن النبي صلى الله عليه و سلم لم يتكلم بلفظه وحروفه بل كان ساكتا أو عاجزا عن التكلم بذلك فعلم غيره ما في نفسه فنظم هذه الألفاظ ليعبر بها عما في نفس النبي صلى الله عليه و سلم او نحو هذا الكلام . فمن قال هذا كان مفتريا ومن قال : إن هذا الصوت المسموع صوت النبي صلى الله عليه و سلم كان مفتريا

فإذا كان هذا معقولا في كلام المخلوق فكلام الخالق أولى بإثبات ما يستحقه من صفات الكمال وتنزيه الله أن تكون صفاته وأفعاله هي صفات العباد وأفعالهم أو مثل صفات العباد وأفعالهم

فالسلف والأئمة كانوا يعلمون أن هذا القرآن المنزل المسموع من القارئين كلام الله كما قال تعالى ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ﴾ [التوبة : ٦] ليس هو كلاما لغيره لا لفظه ولا معناه ولكن بلغه عن الله حبريل وبلغه محمد رسو ل الله عن جبريل ولهذا أضافه الله إلى كل من الرسولين لأنه بلغه وأداه لا لأنه أحدث لا لفظه و لا معناه إذ لو كان أحدهما هو الذي أحدث ذلك لم يصح إضافة الإحداث إلى الآخر فقال تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٤٠ – ٤٣] فهذا محمد صلى الله عليه و سلم وقال تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين * مطاع ثم أمين ﴾ [المطففين : ١٩ – ٢١] فهذا تجبريل عليه السلام

وقد توعد الله تعالى من قال ﴿ إن هذا إلا قول البشر ﴾ [المدثر : ٢٥] فمن قال : إن هذا القرآن قول البشر فقد كفر : وقال بقول الوحيد الذي أوعده الله سقر ومن قال : إن شيئا منه قول البشرفقد قال ببعض قوله ومن قال : إنه ليس بقول رسول كريم وإنما هو قول شاعر أو مجنون أو مفتر أو قال : هو قول شيطان نزل به عليه ونحو ذلك فهو أيضا كافر ملعون

وقد علم المسلمون الفرق بين أن يسمع كلام المتكلم منه أو من المبلغ عنه وأن موسى سمع كلام الله من الله بلا واسطة وأنا نحن نسمع كلام الله من المبلغين عنه وإذا كان الفرق ثابتا بين من سمع كلام النبي صلى الله عليه و سلم منه وبين من سمعه من الصاحب المبلغ عنه فالفرق هنا أولى لأن أفعال المخلوق وصفاته أشبه بأفعال المخلوق وصفاته من أفعاله وصفاته بأفعال الله وصفاته

ولما كانت الجهمية يوقلون : إن الله لم يتكلم في الحقيقة بل خلق كلاما في غيره ومن أطلق منهم أن الله تكلم حقيقة فهذا مراده فالنزاع بينهم لفظي .كان من المعلوم أن القائل إذا قال : هذا القرآن مخلوق كان مفهوم كلامه أن الله لم يتكلم بهذا القرآن وأنه ليس هو كلامه بل خلقه في غيره

وإذا فسر مراده بأني أردت أن حركات العبد وصوته والمداد مخلوق كان هذا المعني . وإن كان صحيحا . ليس هو مفهوم كلامه ولا معنى قوله فإن المسلمين إذا قالوا : هذا القرآن كلام الله لم يريدوا بذلك أن أصوات القارئين وحركاتهم قائمة بذات الله كما أنهم إذا قالوا : هذا الحديث حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم لم يريدوا بذلك : أن حركات المحدث وصوته قامت بذات رسول الله صلى الله عليه و سلم بل وكذلك إذا قالوا في إنشاد لبيد :

(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)

هذا شعر لبيد وكلام لبيد لم يريدوا بذلك أن صوت المنشد هو صوت لبيد بل أرادوا أن هذا القول المؤلف لفظه ومعناه وهو لبيد وهذا منشد له فمن قال : إن هذا القرآن مخلوق أو : إن القرآن المنزل مخلوق أو نحو هذه العبارات كان بمنزلة من قال : إن هذا الكلام ليس هو كلام الله ن وبمنزلة من قال عن الحديث المسموع من المحدث : إن هذا ليس كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم وإن النبي صلى الله عليه و سلم لم يتكلم بهذا الحديث وبمنزلة من قال : إن هذا الشعر ليس هو شعر لبيد ولم يتكلم به لبيد ومعلوم أن هذا كله باطل

ثم إن هؤلاء صاروا يقولون : هذا القرآن المنزل المسموع هو تلاوة القرآن وقراءته وتلاوة القرآن مخلوقة وقراءة القرآن مخلوقة ويقولون : تلاوتنا للقرآن مخلوقة وقراءتنا له مخلوقة ويدخلون في ذلك نفس الكلام المسموع ويقولون : لفظنا بالقرآن مخلوق يدخلون في ذلك القرآن الملفوظ المتلو المسموع

فأنكر الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة هذا وقالوا : اللفظية جهمية وقالوا : افترقت التجهمية ثلاث فرق : فرقة قالت : القرآن مخلوق وفرقة قالت : نقف فلا نقول مخلوق ولا غير مخلوق وفرقة قالت : تلاوة القرآن واللفظ بالقرآن مخلوق

فلما انتشر ذلك عن أهل السنة غلطت طائفة فقالت : لفظنا بالقرآن غير مخلوق وتلاوتنا له غير مخلوقة فبدع الإمام أحمد هؤلاء وأمر بهجرهم

ولهذا ذكر الأشعري في مقالاته هذا عن أهل السنة وأصحاب الحديث فقال : والقول باللفظ والوقف عندهم بدعة من قال اللفظ بالقرآن مخلوق فهو مبتدع عندهم ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع

وكذلك ذكر محمد بن جرير الطبري في صريح السنة أنه سمع غير واحد من أصحابه يذكر عن الإمام أحمد أنه قال : من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع

وصنف أبو أحمد بن قتيبة في ذلك كتابا وقد ذكر أبو بكر الخلال هذا في كتاب السنة وبسط القول في ذلك وذكر ما صنفه أبو بكر المروزي في ذلك وذكر قصة أبي طالب المشهورة التي نقلها عنه أكابر أصحابه كعبد الله وصالح ابنيه والمروزي وأبي محمد فوران ومحمد بن إسحاق الصاغني وغير هؤلاء

وكان أهل الحديث قد أفتوقوا في ذلك فصار طائفة منهم يقولون : لفظنا بالقرآن غير مخلوق ومرادهم أن القرآن المسموع غير مخلوق وليس مراده صوت العبد كما يذكر ذلك عن أبي حاتم الرازي ومحمد بن داود المصيصي وطوائف غير هؤلاء

وفي أتباع هؤلاء من قد يدخل صوت العبد أو فعله في ذلك أو يقف فيه ففهم ذلك بعض الأئمة فصار يقول : أفعال العباد أصواتهم مخلوقة ردا لهؤلاء كما فعل البخاري و محمد بن نصر المروزي وغيرهما من أهل العلم والسنة

وصار يحصل بسبب كثرة الخوض في ذلك ألفاظ مشتركة وأهواء للنفوس حصل بسبب ذلك نوع من الفرقة والفتنة وحصل بين البخاري وبين محمد بن يحيى الذهلي في ذلك ما هو معروف وصار قوم مع البخاري كمسلم بن الحجاج نحوه وقوم عليه كأبي زرعة وأبي حاتم الرازيين وغيرهما

وكل هؤلاء من أهل العلم والسنة والحديث وهم من أصحاب أحمد بن حنبل ولهذا قال ابن قتيبة : إن أهل السنة لم يختلوفوا في شيء من أقوالهم إلا في مسألة اللفظ

وصار قوم يطلقون القول بأن التلاوة هي المتلو والقراءة هي المقروء وليس مرادهم بالتلاوة المصدر ولكن الإنسان إذا تكلم بالكلام فلا بد له من حركة ومما يكون عن الحركة من أقواله التي هي حروف منظومة ومعان مفهومة والقول والكلام يراد به تارة المجموع فتدخل الحركة في ذلك ويكون الكلام نوعا من العمل وقسما منه ويراد به تارة ما يقترن بالحركة ويكون عنها لا نفس الحركة فيكون الكلام قسيما للعمل ونوعا آخر ليس هو منه ولهذا تنازع العلماء في لفظ العلم المطلق : هل يدخل فيه الكلام ؟ على قولين معروفين لأصحاب أحمد وغيرهم وبنوا على ذلك ما إذا حلف لا يعمل اليوم علملا فتكلم هل يحنث أم لا ؟ على قولين وذلك لأن لفظ الكلام قد يدخل في العمل وقد لا يدخل

فالأول كما في قول النبي صلى الله عليه و سلم [لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فقال رجل : لو لي مثل ما لفلان لعملت فيه مثل ما يعمل فلان] أخرجاه في الصحيحين فقد جعل فعل هذا الذي يتلوه آناء الليل والنهار عملا كما قال : لعملت فيه مثل ما يعلم فلان

والثاني كما في قوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [فاطر : ١٠] وقوله تعالى ﴿ وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ [يونس : ٦١] فالذين قالوا التلاوة هي المتلو من أهل العلم والسنة قصدوا أن التلاوة هي القول والكلام المقترن بالحركة وهي الكلام المتلو وآخرون قالوا : بل التلاوة غير المتلو والقراءة غير المقروء والذين قالوا ذلك من أهل السنة والحديث أرادوا بذلك أن أفعال العباد ليس هي كلام الله ولا أصوات العباد هي صوت الله وهذا الذي قصده البخاري وهو مقصود صحيح

وسبب ذلك أن لفظ : التلاوة والقراءة واللفظ مجمل مشترك : يراد به المصدر ويراد به المفعول

فمن قال : اللفظ ليس هو الملفوظ والقول ليس هو المقول وأراد باللفظ والقول المصدر كان معني كلامه أن الحركة ليست هي الكلام المسموع وهذا صحيح

ومن قال اللفظ هو الملفوظ والقول هو نفسه المقول وأراد باللفظ والقول مسمى المصدر صار حقيقة مراده أن اللفظ والقول المراد به الكلام المقول الملفوظ هو الكلام المقول الملفوظ وهذا صحيح فمن قال : اللفظ بالقرآن أو القراءة أو التلاوة مخلوقة أو لفظي بالقرآن أو تلاوتي دخل في كلامه نفس الكلام المقروء المتلو وذلك هو كلام الله تعالى وإن أراد بذلك مجرد فعله وصوته كان المعني صحيحا لكن إطلاق اللفظ يتناول هذا وغيره

ولهذا قال أحمد في بعض كلامه : من قال لفظي بالقرآن كخلوق يريد به القرآن فهو جهمي أحترازا عما إذا أراد به فعله وصوته وذكر اللالكائي أن بعض من كان يقول ذلك رأى في منامه كأن عليه فروة رجل يضربه فقال له : لا تضربني

فقال : إني لا أضربك وإنما أضرب الفروة فقال : إن الضرب إنما يقع ألمه علي فقال هكذا إذا قلت : لفظي بالقرآن مخلوق وقع الخلق على القرآن

ومن قال : لفظي بالقرآن غير مخلوق أو تلاوتي دخل في ذلك المصدر الذي هو علمه وأفعال العباد مخلوقة ولو قال : أردت به أن القرآن المتلو غير مخلوق لا نفس حركاتي قيل له : لفظك هذا بدعة وفيه إجمال وإيهام وإن كان مقصودك صحيحا كما يقال للأول إذا قال : أردت أن فعلي مخلوق : لفظك أيضا بدعة وفيه إجمال وإيهام وإن كان مقصودك صحيحا

فلهذا منع أئمة السنة الكبار إطلاق هذا وهذا وكان هذا وسطا بين الطرفين وكان أحمد وغيره من الأئمة يقولون : القرآن تحيث تصرف كلام الله غير مخلوق فيجعلون القرآن نفسه حيث تصرف غير مخلوق من غير أن يقترن بذلك ما يشعر أن أفعال العباد وصفاتهم غير مخلوق

وصارت كل طائفة من النفاة والمثبتة في مسألة التلاوة تحكي قولها عن أحمد وهم . كما ذكر البخاري في كتاب خلق الأفعال وقال : إن كل واحدة من هاتين الطائفتين تذكر قولها عن أحمد وهم يفقهون قوله لدقة معناه

ثم صار ذلك التفرق موروثا في أتباع الطائفتين فصارت طائفة تقول : إن اللفظ بالقرآن غير مخلوق موافقة ل أبي حاتم الرازي و محمد بن داود المصيصي وأمثالهما كأبي عبد الله بن منده وأهل بيته وأبي عبد الله بن حامد وأبي نصر السجزي وأبي إسماعيل الأنصاري وأبي يعقوب الفرات الهروي وغيرهم

وقوم يقولون نقيض هذا القول من غير دخول في مذهب ابن كلاب

مع اتفاق الطائفتين على أن القرآن كله كلام الله لم يحدث غيره شيئا منه ولا خلق منه شيئا في غيره : لا حروفه ولا معانيه . مثل حسين الكرابيسي و داود بن علي الأصبهاني وأمثالهما

وحدث مع هذا من يقول بقول ابن كلاب : إن كلام الله معنى واحد قائم بنفس المتكلم هو الأمر بكل ما أمر به والنهي عن كل ما نهى عنه والإخبار بكل ما أخبر به وإنه إن عبر عنه بالعربية كان هو القرآن وإن عبر عنه بالعبرية كان هو التوراة

وجمهور الناس من أهل السنة والمعتزلة وغيرهم أنكروا ذلك وقالوا : إن فساد هذا معلوم بصريح العقل فإن التوراة إذا عربت لم تكن هي القرآن ولا معنى ﴿ قل هو الله أحد ﴾ هو معنى ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ وكان يوافقهم على إطلاق القول بأن التلاوة غير المتلو وأنها مخلوقة من لا يوافقهم على هذا المعنى بل قصده أن التلاوة هي أفعال العباد وأصواتهم

وصار أقوام يطلقون القول بأن التلاوة غير المتلو وأن اللفظ بالقرآن مخلوق فمنهم من يعرف أنه موافق لابن كلاب ومنهم من يعرف مخالفته له ومنهم من لا يعرف منه لا هذا ولا هذا وصار أبو الحسن الأشعري ونحوه . ممن يوافق ابن كلاب على قوله . موافقا للإمام أحمد وغيره من أئمة السنة في المنع من إطلاق هذا وهذا فيمنعون أن يقال : اللفظ بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق وهؤلاء منعوه من جهة كونه يقال في القرآن : إنه يلفظ أو لا يلفظ وقالوا اللفظ : الطرح والرمي ومثل هذا لا يقال في القرآن

ووافق هؤلاء على التعليل بهذا طائفة ممن لا يقول بقول ابن كلاب في الكلام كالقاضي أبي يعلى وأمثاله ووقع بين أبي نعيم الأصبهاني وأبي عبد الله بن منده في ذلك ما هو معروف وصنف أبو نعيم في ذلك كتابه في الرد على اللفظية والحلولية ومال فيه إلى كجانب النفاة الفائلين بأن اللاوة مخلوقة كنا مال ابن منده إلى جانب من يقول إنها غير مخلوقه وحكى كل منهما من الحق وجد فيه من المنقول الثبت عن الأئمة ما يوافقه

وكذلك وقع بين أبي ذر الهروي و أبي نصر السجزي في ذلك حتى صنف أبو نصر السجزي كتابه الكبير في ذلك المعروف بالإبانة وذكر فيه من الفوائد والآثار والانتصار للسنة وأهلها أمورا عظيمة المنفعة لكنه نصر فيه قول من يقول : لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنكر على ابن قتيبة وغيره ما ذكروه من التفصيل ورجح طريقة من هجر البخاري وزعم أن أحمد بن حنبل كان يقول لفظي بالقرآن غير مخلوق وأنه رجع إلى ذلك وأنكر ما نقله الناس عن أحمد من إنكار على الطائفتين وهي مسألة أبي طالب المشهورة

وليس الأمر كما ذكره فإن الإنكار على الطائفتين مستفيض عن أحمد عند أخص الناس به من أهل بيته وأصحابه الذين اعتنوا بجمع كلام الإمام أحمد ك المروزي و الخلال و أبي بكر عبد العزيز و أبي عبد الله بن بطة وأمثالهم وقد ذكروا من ذلك ما يعلم لك عارف له أنه أثبت الأمور عن أحمد

وهؤلاء العراقيون أعلم بأقوال أحمد من المتنسبين إلى السنة والحديث من أهل خرسان الذين كان ابن منده وأبو نصر وأبو إسماعيل الهروي وأمثالهم يسلكون حذرهم ولهذا صنف عبد الله بن عطاء الإبراهيمي كتابا فيمن أخذ عن أحمد العلم فذكر طائفة ذكر منهم أبو بكر الخلال وظن أنه أبو محمد الخلال شيخ القاضي أبي يعلي وأبي بكر الخطيب فاشتبه عليه هذا بهذا

وهذا كما أن العرقيين المنتسبين إلى أهل الإثبات من أبتاع ابن كلاب كأبي العباس القلانسي وأبي الحسن الأشعري وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري والقاضي أبي بكر ابن الباقلاني وأمثالهم أقرب إلى السنة وأتبع لأحمد بن حنبل وأمثاله من أهل خراسان المائلين إلى طريقة ابن كلاب ولهذا كان القاضي أبو بكر بن الطيب يكتب في أجوبته أحيانا : محمد بن الطيب الحنبلي كما كان يقول الأشعري إذ كان الأشعري وأصحابه منتسبين إلي أحمد بن حنبل وأمثاله من أئمة السنة وكان الأشعري أقرب إلى مذهب أحمد بن حنبل وأهل السنة من كثير من المتأخرين المنتسبين إلى أحمد الذين مالوا إلى بعض كلام المعتزلة كابن عقيل وصدقة بن الحسين وابن الجوزي وأمثالهم

وكان أبو ذر الهروي قد أخذ طريقة ابن الباقلاني وأدخلها إلى الحرم ويقال إنه أول من أدخلها إلى الحرم وعنه أخذ ذلك من أخذه من أهل المغرب فإنهم كانوا يسمعون عليه البخاري و يأخذون ذلك عنه كما أخذه أبو الوليد الباجي ثم رحل الباجي إلى العرق فأخذ طريقة الباقلاني عن أبي جعفر السمناني قاضي الموصل صاحب ابن الباقلاني ونحن قد بسطنا الكلام في هذه المسائل وبينا ما حصل فيها من النزاع والاضطراب في غير هذا الموضع

والمقصود هنا أن الأئمة الكبار كانو يمنعون من إطلاق الألفاظ المبتدعة المجملة المشتبهة لما فيه من لبس الحق بالباطل ن ممع ما توقعه من الاشتباه والاختلاف والفتنة بخلاف الألفاظ المأثورة والألفاظ التي بينت معانيها فإن ما كان مأثورا حصلت له الألفة وما كان معروفا حصلت به المعرفة كما يرى عن مالك رحمه الله أنه قال : إذا قل العلم ظهر الجفاء وإذا

قلت الآثار كثرت الأهواء فإذا لم يكن اللفظ منقولا ولا معناه معقولا ظهر الجفاء والأهواء ولهذا تجد قوما كثيرين يحبون قوما ويبغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها بل يوالون على إطلاقها أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلا صحيحا عن النبي صلى الله عليه و سلم وسلف الأمة ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها وسبب هذا إطلاق أقوال ليست منصوصة وجعلها مذاهب يدعى إليها ويوالي ويعادى عليها

وقد ثبت في الصحيح [أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول في خطبته إن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه و سلم وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة] فدين المسلمين مبني على اتباع كتاب الله وسنة رسوله وما اتفقت عليه الأمة فهذه الثلاثة هي أصول معصومة وما تنازعت فيه الأمة ردوه إلى الله والرسول وليس لأحد أن ينصب للأمة شخصا يدعو إلى طريقته ويوالي عليها ويعادي غير النبي صلى الله عليه و سلم وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصا أو كلاما يفرقون به بين الأمة يوالون علي ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون

ولهذا كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم والتابعون لهم بإحسان . وإن تنازعوا فيما تنازعوا فيه من الأحكام . فالعصمة بينهم ثابتة وهم يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول فبعضهم يصيب الحق فيعظم الله أجره ويرفع درجته وبعظهم يخطئ بعد إجتهاده في طلب الحق فيغفر الله له خطأه تحقيقا لقوله تعالى ﴿ ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] سواء كان خطؤهم في حكم علمي أو حكم خبري نظري كتنازعهم في الميت هل يعذب ببكاء أهله عليه ؟ وهل يسمع الميت قرع نعالهم ؟ وهل رأي محمد ربه ؟

وأبلغ من ذلك أن شريحا أنكر قراءة من قرأ ﴿ بل عجبت ويسخرون ﴾ [الصافات : ١٢] وقال : إن الله لا يعجب فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال : إنما شريح شاعر يعجبه علمه كان عبد الله أعلم منه أو قال : أفقه منه . وكان يقرأ) بل عجبت) فأنكر على شريح إنكاره مع أن شريحا من أعظم الناس قدرا عند المسلمين ونظائر هذا متعددة

والأقوال إذا حكيت عن قائلها أو نسبت الطوائف إلى متبوعها فإنما ذاك على سبيل التعريف والبيان وأما المدح والذم والموالاة والمعاداة فعلى الأسماء المذكورة في القرآن العزيز كاسم المسلم والكافر والمؤمن والمنافق والبر والفاجر والصادق والكاذب والمصلح والمفسد وأمثال ذلك وكون القول صوابا أو خطأ يعرف بالأدلة الدالة على ذلك المعلومة بالعقل والسمع والأدلة الدالة على العلم لا تتناقض كما تقدم

والتناقض هو أن يكون أحد الدليلين يناقض مدلول الآخر : إما بأن ينفي أحدهما عين ما يثبته الآخر وهذا هو التناقض الخاص الذي يذكره أهل الكلام والمنطق وهو اختلاف قضيتين بالسلب والإيجاب على وجه يلزم من صدق إحداهما كذب الأخرى وأما التناقض لمطلق فهو أن يكون موجب أحد الدليلين ينافي موجب الآخر : إما بنفسه وإما بلازمه مثل أن ينفي أحدهما لازم الآخر أو يثبت ملزومه فإن انتقاء لازم الشيء يقتضي انتفاءه وثبوت ملزومه يقتضي ثبوته

ومن هذا الباب الحكم على الشيئين المتماثلين من كل وجه مؤثر في الحكم بحكمين مختلفين فإن هذا تناقض أيضا إذ حكم الشيء حكم مثله فإذا حكم على مثله بنقيض حكمه كان كما لو حكم عليه بنقيض حكمه

وهذا التناقض العام هو الاختلاف الذي نفا الله تعالى عن كتابه بقوله عز و جل : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [النساء : ٨٢] وهو الاختلاف الذي وصف الله به قول الكفار في قوله تعالى ﴿ إنكم لفي قول مختلف * يؤفك عنه من أفك ﴾ [الذاريات : ٨ – ٩]

وضد هذا هو التشابه العام الذي وصف الله به القرآن في قوله ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني ﴾ [الزمر : ٢٣] وهذا ليس هو التشابه الخاص الذي وصف الله تعالى به القرآن في قوله ﴿ منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ﴾ [آل عمران : ٧] فإن ذلك التشابه العام يراد به التناسب والتصادق والائتلاف

وضده : الاختلاف الذي هو التناقض والتعارض فالأدلة الدالة على العلم لا يجوز أن تكون متناقضة متعارضة وهذا مما لا ينازع فيه أحد من العقلاء ومن صار من أخل الكلام إلى القول بتكافؤ الأدلة والحيرة فإنما ذلك لفساد استدلاله إما لتقصيره وإما لفساد دليله ومن أعظم أسباب ذلك الألفاظ المجملة التي تشتبه معانيها

وهؤلاء الذين يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم بنوا أمرهم على اصل فاسد وهو أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة التي جعلوها أصول دينهم وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه كما يجعل الجهمية من المتفلسفة والمعتزلة ونحوهم ما أحدثوه من الأقوال التي نفوا به صفات الله ونفوا بها رؤيته في الآخرة وعلوه على خلقه وكون القرآن كلامه ونحو ذلك جعلوا تلك الأقوال محكمة وجعلوا قول الله ورسوله مؤولا عليها أو مردودا أو غير ملتفت إليه ولا متلقى للهدى منه فتجد أحدهم يقول : ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض ولا له كم ولا كيف ولا تحله الأعراض والحوادث ونحو ذلك وليس بمباين للعالم ولا خارج عنه

فإذا قيل : إن الله أخبر أن له علما وقدرة قالوا لو كان له علم وقدرة للزم أن تحله الأعراض وأن يكون جسما وأن يكون له كيفية وكمية وذلك منتف عن الله لما تقدم

ثم قد تقول : إن الرسول قصد بما ذكره من أسماء الله وصفاته أمورا لا نعرفها وقد تقول : إنه قصد خطاب الجمهور فإفهامهم الأمر على غير حقيقته لأن مصلحتهم في ذلك قد يفسر صفة بصفة كما يفسر الحب والرضا والغضب بالإرادة أو السمع والبصر بالعلم والكلام والإرادة والقدرة بالعلم ويكون القول في الثانية كالقول في الأولى يلزمها من اللوازم في النفي والإثبات ما يلزم التي نفاها فيكون مع جمعه في كلامه أنواعا من السفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات قد فرق بين المتماثلين : بأن جعل حكم أحدهما مخالفا لحكم الآخر ويكون قد عطل النصوص عن مقتضاها ونفى بعض ما يستحق الله من صفات الكمال ويكون النافي لما أثبته هو قد تسلط عليه وأورد عليه فيما أثبته هو نظير ما أورده هو على من أثبت ما نفاه وإن كان النافي لما أثبته أكثر تناقضا منه

ثم هؤلاء يجعلون ما ابتدعوه من الأقوال المجملة دينا يوالون عليه ويعادون بل يكفرون من خالفهم فيما ابتدعوه ويقول : مسائل أصول الدين : المخطئ فيها يكفر وتكون تلك المسائل مما ابتدعوه

معلوم أن الخوارج هم مبتدعة مارقون كما ثبت بالنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه و سلم وإجماع الصحابة ذمهم والطعن عليهم وهم إنما تأولوا آيات من القرآن على ما اعتقدوه وجعلوا من خالف ذلك كافرا لاعتقادهم أنه خالف

القرآن فمن ابتدع أقوالا ليس له أصل في القرآن وجعل من خالفها كافرا كان قوله شرا من قول الخوارج ولهذا اتفق السلف والأئمة على أن قول الجهمية شر من قول الخوارج

وأصل قول الجهمية هو نفي الصفات بما يزعمون من دعوى العقليات التي عارضوا بها النصوص إذ كان العقل الصريح الذي يستحق أن تسمى قضاياه عقليات موافقا للنصوص لا مخالفا لها ولما كان قد شاع في عرف الناس أن قول الجهمية مبناه على النفي صار **الشعراء** ينظمون هذا المعنى كقول أبي تمام :

(جهمية الأوصاف إلا أنهم ... قد لقبوها جوهر الأشياء)

فهؤلاء ارتكبوا أربع عظائم : أحدها : ردهم لنصوص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والثاني : ردهم ما يوافق ذلك من معقول العقلاء والثالث : جعل ما خالف ذلك من أقوالهم المجملة أو الباطلة هي أصول الدين والرابع : تكفيرهم أو تفسيقهم أو تخطئتهم لمن خالف هذه الأقوال المبتدعة المخالفة لصحيح المنقول وصريح المعقول

وأما أهل العلم والإيمان : فهم على نقيض هذه الحال يجعلون كلام الله وكلام رسوله هو الأصل الذي يعتمد عليه وإليه يرد ما تنازع الناس فيه فما وافقه كان حقا وما خالفه كان باطلا ومن كان قصده متابعته من المؤمنين وأخطأ بعد اجتهاده الذي أستفرغ به وسعه غفر الله له خطأه سواء كان خطؤه في المسائل العلمية الخبرية او المسائل العلمية فإنه ليس كل ما كان معلوما متيقنا لبعض الناس يجب أن يكون معلوما متيقنا لغيره

وليس كل ما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يعلمه كل الناس ويفهمونه بل كثير منهم لم يسمع كثيرا منه وكثير منهم قد يشتبه عليه ما أراده وإن كان كلامه في نفسه محكما مقرونا بما يبين مراده لكن أهل العلم يعلمون ما قاله ويميزون بين النقل الذي يصدق به والنقل الذي يكذب به ويعرفون ما يعلم به معاني كلامه صلى الله عليه و سلم فإن الله تعالي أمر الرسول بالبلاغ المبين وهو أطوع الناس لربه فلا بد أن يكون قد بلغ البلاغ المبين ومع البلاغ المبين لا يكون بيانه ملتبسا مدلسا ". (١)

٤١-" اللازم لهم لأن كل معصية عندهم كفر وقد جوزوا المعاصي على النبي وهذا يقتضي فساد قولهم بأن قولهم كل معصية كفر وقولهم بجواز المعاصي عليهم وإلا فلم يلتزموا أن يكون النبي كافرا ولازم المذهب لا يجب أن يكون مذهبا

وطوائف أهل الكلام الذين يجوزون بعثة كل مكلف من الجهمية والأشعرية ومن وافقهم من اتباع الأئمة الأربعة كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم متفقوه أيضا على أن الأنبياء أفضل الخلق وأن النبي لا يكون فاجرا لكن يقولون هذا لم يعلم بالعقل بل علم بالسمع بناء على ما تقدم من أصلهم من أن الله يجوز أن يفعل كل ممكن

وأما الجمهور الذين يثبتون الحكمة والأسباب فيقولون نحن نعلم بما علمناه من حكمة الله أنه لا يبعث نبيا فاجرا وأن ما ينزل على البر الصادق لا يكون إلا ملائكة لا تكون شياطين كما قال تعالى وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين إلى قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع

---

(١) درء التعارض ١٤٩/١

وأكثرهم كاذبون **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون سورة **الشعراء** ١٩٢ ٢٢٦

فهذا مما بين الله به الفرق بين الكاهن والنبي وبين **الشاعر** والنبي لما زعم المفترون أن محمدا ص – **شاعر** وكاهن وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها

أن النبي ص – لما أتاه الوحي في أول الأمر وخاف على نفسه قبل أن يستيقن أنه ملك قال لخديجة لقد خشيت على نفسي قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقري الضيف وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق فاستدلت رضي الله عنها بحسن عقلها على أن من يكون الله قد خلقه بهذه الأخلاق الكريمة التي هي من أعظم صفات الأبرار الممدوحين أنه لا يخزيه فيفسد الشيطان عقله ودينه ولم يكن معها قبل ذلك وحي تعلم به انتفاء ذلك بل علمته بمجرد عقلها الراجح

وكذلك لما ادعى النبوة من ادعاها من الكذابين مثل مسيلمة الكذاب والعنسي وغيرهما مع ما كان يشتبه من أمرهم لما كان ينزل عليهم من الشيطان ويوحون إليهم ". (١)

٤٢-" قول من يقول إن الله لم يقم بذاته كلام ولهذا قال الأئمة كلام الله من الله ليس ببائن عنه وذكرنا اختلاف المنتسبين إلى السنة هل يتعلق الكلام بمشيئته وقدرته أم لا وقول من قال من أئمة السنة لم يزل الله متكلما إذا شاء وأن قول السلف منه بدأ لم يريدوا به أنه فارق ذاته وحل في غيره فإن كلام المخلوق بل وسائر صفاته لا تفارقه وتنتقل إلى غيره فكيف يجوز أن يفارق ذات الله كلامه أو غيره من صفاته بل قالوا منه بدأ أي هو المتكلم به ردا على المعتزلة والجهمية وغيرهم الذين قالوا بدأ من المخلوق الذي خلق فيه وقولهم إليه يعود أي يسري عليه فلا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في الصدور منه آية

والمقصود هنا الجواب عن مسائل السائل

فصل

وأما قول القائل أنتم تعتقدون أن موسى سمع كلام الله منه حقيقة من غير واسطة وتقولون أن الذي تسمعونه كلام الله حقيقة وتسمعونه من وسائل بأصوات مختلفة فما الفرق بين ذلك

فيقال له بين هذا وهذا من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق فإن كل عاقل يفرق بين سماع كلام النبي ص – منه بغير واسطة كسماع الصحابة منه وبين سماعه منه بواسطة المبلغين عنه كأبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر وابن عباس وكل من السامعين سمع كلام النبي ص – حقيقة وكذلك من سمع شعر حسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة أو غيرهما من **الشعراء** منه بلا واسطة ومن سمعه من الرواة عنه يعلم الفرق بين هذا وهذا وهو في الموضعين شعر حسان لا شعر غيره والإنسان إذا

(١) دقائق التفسير ١١٨/٢

تعلم شعر غيره فهو يعلم أن ذلك **الشاعر** أنشأ معانيه ونظم حروفه بأصواته المقطعة وإن كان المبلغ يرويه بحركة نفسه وأصوات نفسه

فإذا كان هذا الفرق معقولا في كلام المخلوقين بين سماع الكلام من المتكلم به ابتداء وسماعه بواسطة الراوي عنه أو المبلغ عنه فكيف لا يعقل ذلك في سماع كلام الله وقد تقدم أن من ظن أن المسموع من القراء هو صوت الرب فهو إلى تأديب المجانين أقرب منه إلى خطاب العقلاء وكذلك من توهم أن الصوت قديم أو أن المداد قديم فهذا لا يقوله ذو حس سليم بل ما بين لوحي المصحف كلام الله وكلام الله ثابت في مصاحف المسلمين لا كلام غيره فمن قال إن الذي في المصحف ليس كلام الله بل كلام غيره فهو ملحد مارق

ومن زعم أن كلام الله فارق ذاته وانتقل إلى غيره كما كتب في المصاحف أو أن المداد قديم أزلي فهو أيضا ملحد مارق بل كلام المخلوقين يكتب في الأوراق وهو لم يفارق ذواتهم ". (١)

٤٣-" منه وحده فكثير كقوله ولا يخشون أحدا إلا الله سورة الأحزاب ٣٩ وقوله فإياي فارهبون سورة النحل ٥١ و إياي فاتقون سورة البقرة ٤١ وقوله فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين سورة آل عمران ١٧٥ وكذلك قوله فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين سورة **الشعراء** ٢١٣ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا سورة النساء ٣٦

وأما المحبة فهي لله ورسوله والإرضاء لله والرسول كقوله تعالى أحب إليكم من الله ورسوله سورة التوبة ٢٤ وقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين سورة التوبة ٦٢ فالرسول علينا أن نحبه وعلينا أن نرضيه بل قد ثبت عنه في الصحيح أنه قال لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده والناس أجمعين وكذلك الطاعة لله والرسول قال تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله سورة النساء ٨٠

والعبادات بأسرها الصلاة والسجود والطواف والدعاء والصدقة والنسك والذبح لا يصلح إلا لله ولم يخص الله بقعة نفعل الصلاة فيها إلا المساجد لا مقبرة ولا مشهدا ولا مغارة ولا مقام نبي ولا غير ذلك ولا خص بقعة غير المساجد بالذكر والدعاء إلا **مشاعر** الحج لا قبر نبي ولا صالح ولا مغارة ولا غير ذلك ولا يقبل على وجه الأرض شييء عبادة لله إلا الحجر الأسود ولا يتمسح إلا به وبالركن اليماني ولا يستلم الركنان الشاميان وهما من البيت فكيف غيرهما وقد طاف ابن عباس ومعاوية فجعل معاوية يستلم الأركان الأربعة فقال ابن عباس رضي الله عنه إن رسول الله ص - لم يستلم إلا الركنين اليمانيين فقال معاوية ليس من البيت شيء مهجور فقال ابن عباس رضي الله عنه لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال معاوية صدقت ورجع إلى قوله

فالعبادات مبناها على أصلين أحدهما أن لا يعبد إلا الله وحده لا نعبد من دونه شيئا لا ملكا ولا نبيا ولا صالحا ولا شيئا من المخلوقات والثاني أن نعبده بما أمرنا به على لسان رسوله لا نعبده ببدع لم يشرعها الله ورسوله

---

(١) دقائق التفسير ١٨٨/٢

والعبادات تتضمن كمال الحب وكمال الخضوع فمن أحب شيئا من المخلوقات كما يحب الخالق فهو مشرك قال الله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ". (١)

٤٤-"هذه المادة السوداء المظلمة الكريهة الشائهة هي المرجع لما كتبه أعداء المسلمين من المستشرقين وغيرهم.

وجاء ذلك الجيل المهزوم روحيا، والذي يرى في الغرب قدوته وامثولته من المستغربين فتلقف ما كتبته الأقلام الاستشراقية وجعلها مصدره ومنهله.. وتبنى أفكارهم ونشر شبهاتهم في ديار المسلمين.

وكان لذلك أثره الخطير في أفكار المسلمين وثقافاتهم، وكان الرفض هو الأصل في هذا الشر كله.

وإن دراسة آراء المستشرقين وصلتها بالشيعة لهي موضوع هام يستحق الدراسة والتتبع.. ولا يمكن بحال أن نخوض غماره في هذا البحث لضيق المجال، وحسبنا أن نشير إليه وننبه عليه.

لقد بدأت استفادة العدو الكافر من شبهات الروافض وأكاذيبهم ومفترياتهم على الإسلام والمسلمين منذ وقت ليس بالقريب.

ففي عصر الإمام ابن حزم (ت٤٥٦هـ) كان النصارى يتخذون من فرية الروافض حول كتاب الله سبحانه حجة لهم في مجادلة أهل الإسلام، وقد أجاب ابن حزم عن ذلك بكل حزم فأبان أنه لا عبرة بأقوال هذه الفئة، لأن الروافض ليسوا من المسلمين [انظر: ص(١٢٥٦) من هذه الرسالة.].

أثرهم في الأدب العربي:

لم يسلم الأدب ودولة الشعر والنثر من تأثير أهل التشيع فيه، وقد ترك التشيع بصماته "السوداء" على الأدب العربي.. وقد استغل "شعراء" الشيعة وخطباؤها ما يسمى بمحن آل البيت في إثارة عواطف الناس واستجاشة مشاعرهم وإلهاب العواطف والنفوس، وتحريكها ضد الأمة ودينها.

وتلمس في بعض ما وصلنا من "أدب" بعض الاتجاهات العقدية عند الشيعة، وتلمح المبالغة في تصوير ما جرى على أهل البيت من محن، واستغلال ذلك في نشر التشيع، والطعن في الصحابة رضوان الله عليه.

وقد أجهد رواد التشيع أنفسهم في نشر الخرافات والأساطير عن أئمتهم في ثوب قصصي مثير، أو في خطبة أو في شعر مبالغ في الغلو في مدح الأئمة.

ولقد تأثرت عقائد العامة وتصوراتهم، حتى أثر ذلك على عقيدة التوحيد عندهم فاتخذوا من الأئمة أربابا من دون الله.". (٢)

٤٥-"رسول الله تألف الناس . فأخذ بلحيته وقال : يا ابن الخطاب أجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام ؟ علام أتألفهم أعلى حديث مفترى ؟ أم شعر مفتعل ؟ يقول : إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة ولا شعر

---

(١) دقائق التفسير ٢٠١/٢

(٢) رأي شيخ الإسلام ابن تيمية بالرافضة ٤٩/١

مفتعل كشعر طليحة الأسدي . وهذان النوعان : هما اللذان يعارض بهما القرآن أهل الفجور والإفك المبين قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ﴾ ﴿ وما لا تبصرون ﴾ ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ﴿ وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ﴾ ﴿ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ وقال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين ﴾ ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ إلى قوله ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ إلى آخر السورة . فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين **والشعراء** الغاوين ونزهه عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة . وقال تعالى ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ﴿ ذي قوة عند ذي العرش مكين ﴾ إلى آخر السورة . فالرسول هنا جبريل وفي الآية الأولى محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا نزه محمدا هناك عن أن يكون **شاعرا** أو كاهنا ونزه هنا الرسول إليه أن يكون من الشياطين .". (١)

٤٦-"وكان ينبغي أن كون الناس كلهم محبين لأميرهم الطيب لأنه أقام لغربائهم دور الضيافة، وأدخل على الناس خيرا حتى جعل يقسم المال للولائد والعبيد، ورد على كل مملوك من فضول الأموال في كل شهر ما يتسعون به من غير أن ينقص مواليهم من أرزاقهم. وبالفعل كانت جماهير الشعب متعلقة بحب هذا الأمير المثالي طول حكمه. إلا أن فريقا من الأشرار وأهل الفساد أصاب بنيهم سوط الشريعة بالعقاب على يد الوليد، فوقفوا حياتهم على ترصد الأذى له. ومن هؤلاء رجال يسمى أحدهم أبا زينب بن عوف الأزدي، وآخر يسمى أبا مورع، وثالث اسمه جندب أبو زهير، قبضت السلطات على أبنائهم في ليلة نقبوا بها على ابن الحيسمان داره وقتلوه، وكان نازلا بجواره رجل من أصحاب رسول الله ومن أهل السابقة في الإسلام وهو أبو شريح الخزاعي حامل راية رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش خزاعة يوم فتح مكة فجاء هو وابنه من المدينة إلى الكوفة ليسيرا مع أحد جيوش الوليد بن عقبة التي كان يواصل توجيهها نحو المشرق للفتوح ونشر دعوة الإسلام، فشهد هذا الصحابي وابنه في تلك الليلة سطو هؤلاء الأشرار على منزل ابن الحيسمان وأدى شهادته هو وابنه على هؤلاء القتلة السفاحين. فأنفذ الوليد فيهم حكم الشريعة على باب القصر في الرحبة، فكتب آباؤهم العهد على أنفسهم للشيطان بأن يكيدوا لهذا الأمير الرحيم. وبثوا عليه العيون والجواسيس ليترقبوا حركاته، وكان بيته مفتوحا دائما. وبينما كان عنده ذات يوم ضيف له من **شعراء** الشمال كان نصرانيا في أخواله من تغلب بأرض الجزيرة وأسلم على يد الوليد، فظن جاسيس الموتورين أن هذا **الشاعر** الذي كان نصرانيا لابد أن يكون ممن يشرب الخمر ولعل الوليد أن يكرمه بذلك فنادوا أبا زينب وأبا المورع وأصحابهما، فاقتحموا الدار على الوليد من ناحية المسجد، ولم يكن لداره باب، فلما فوجئ بهم نحى شيئا أدخله تحت السرير. فأدخل بعضهم يده فأخرجه بلا إذن من صاحب الدار،". (٢)

٤٧-"× في مادة (قضى): =القاف، والضاد، والحرف المعتل _ أصل صحيح يدل على إحكام أمر، وإتقانه، وإنفاذه لجهته.

---

(١) رسالة حقيقة مذهب الاتحاديين القائلين بوحدة الوجود ص/٢

(٢) شبهات حول الصحابة ذو النورين عثمان ص/١١٢

قال الله ـــ تعالى ـــ: [فقضاهن سبع سماوات في يومين] فصلت:١٢.

أي أحكم خلقهن، ثم قال أبو ذؤيب الهذلي(١):

وعليهما مسرودتان قضاهما ... داود أو نسج السوابغ تبع(٢)+

()

والقضاء: هو الحكم، والصنع، والحتم، والبيان.

وأصله القطع، والفصل، وقضاء الشيء، وإحكامه، وإمضاؤه، والفراغ منه؛ فيكون بمعنى الخلق(٣).

---

(١) هو خويلد بن خالد بن محرز بن زبيد بن أسد الهذلي، **شاعر** مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي " فأسلم وحسن إسلامه، له قصائد جياد، وشعره كله على نمط في الجودة وحسن السبك، قال ابن شبة: =تقدم أبو ذؤيب جميع **شعراء** هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنيه+، توفي في غزو إفريقية مع ابن الزبير.

انظر الشعر **والشعراء**، لابن قتيبة، حققه وضبط نصه د.مفيد قميحه، وراجعه الأستاذ نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، ص٤٣٥ـ٤٣٧، وانظر معجم الأدباء ٣/٣٠٦ـ٣٠٩.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٥/٩٩.

(٣) انظر تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت، ص٤٤١ـ٤٤٢، وانظر المفردات لغريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٢٣، وانظر لسان العرب لابن منظور ١٥/١٨٦، والقاموس للفيروزأبادي ص١٧٠٨.". [١]

٤٨-"فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد ... ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد(١)

وقول سويد بن أبي كاهل(٢):

كتب الرحمن والحمد له ... سعة الأخلاق فينا والضلع(٣)

وقول المثقب العبدي(٤):

فأيقنت إن شاء الإله بأنه ... سيبلغني أجلادها وقصيدها(٥)

وقول زهير:

---

(١) شرح التائية في القدر ٥ - ٥ - ١٤٢٩ ص/٥٥

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ... ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ... ليوم الحساب أو يعجل فينقم(٦)

---

(١) شرح المعلقات العشر، للزوزني، ص١١٩.

(٢) هو سويد بن حارثة بن حسل بن مالك بن عبد سعد بن جشم بن ذبيان بن كنانة بن يشكر ابن بكر بن وائل بن قاسط، شاعر مقدم مخضرم، عاش في الجاهلية دهرا، وعمر في الإسلام عمرا طويلا، عاش إلى ما بعد سنة ٦٠هـ، قرنه أبو عبيد بطرفة بن العبد، والحارث بن حلزة، وعمرو بن كلثوم، وكان أبوه شاعرا. انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٢٧٠_٢٧١، والمفضليات، للمفضل بن محمد الضبي، تحقيق أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ص١٩٠.

(٣) المفضليات للمفضل الضبي ص١٩٧.

(٤) هو عائذ الله بن حصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن عوف بن دهن بن عذرة بن منبه بن نكرة ابن لكيز بن أفصى بن عبدالقيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، شاعر فحل قديم جاهلي، سمي المثقب لقوله في قصيدة له:

ظهرن بكلة وسدلن رقما وثقبن الوصاوص للعيون

والوصاوص: البراقع. انظر المفضليات تحقيق وشرح أحمد شاكر وعبدالسلام هارون ص١٤٩.

(٥) المفضليات ص١٥١.

(٦) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، ص٢٥.". [1]

٤٩-"وما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور واستحواذ الشياطين عليه ما ظهر لمن له أدنى تمييز.

وما من أحد ادعى النبوة من الصادقين إلا وقد ظهر عليه من العلم والصدق والبر وأنواع الخيرات ما ظهر لمن له أدنى تمييز فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور ويأمرهم بأمور ولا بد أن يفعل أمورا.

ص -٩٠- والكذاب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة والصادق يظهر في نفس ما يأمر به وما يخبر عنه ويفعله ما يظهر به صدقه من وجوه كثيرة بل كل شخصين ادعيا أمرا من الأمور أحدهما صادق في دعواه والآخر كاذب فلا بد أن يبين صدق هذا وكذب هذا من وجوه كثيرة إذ الصدق مستلزم للبر والكذب مستلزم للفجور كما في الصحيحين عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بالصدق فإن الصدق

---

(١) شرح التائية في القدر ٥ - ٥ - ١٤٢٩ ص/٦٨

يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا".

ولهذا قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾بين سبحانه أنه ليس بكاهن تنزل عليه الشياطين ولا **شاعر** حيث كانوا يقولون ساحر **وشاعر** فبين أن الشياطين تنزل على الكاذب الفاجر يلقون إليهم السمع وأكثرهم كاذبون فهؤلاء الكهان ونحوهم وإن كانوا يخبرون أحيانا بشيء من المغيبات ويكون صدقا فمعهم من الكذب والفجور ما يبين أن الذي يخبرون به ليس عن ملك وليسوا بأنبياء.

ولهذا لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صياد:". (١)

٥٠-""قد خبأت لك خبيئا قال هو الدخ قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "إخسأ فلن تعدو قدرك" يعني إنما أنت كاهن كما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يأتيني صادق وكاذب وقال أرى عرشا على الماء وذلك هو عرش الشيطان كما ثبت مثل ذلك في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم وبين الله تعالى أن **الشعراء** يتبعهم الغاوون والغاوي الذي يتبع هواه وشهوته وإن كان ذلك مضرا له في العاقبة قال تعالى: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ فهذه صفة **الشعراء** كما أن تلك صفة من تنزل عليه الشياطين فمن عرف الرسول وصدقه ووفاءه ومطابقة قوله لعلمه علم علما يقينا أنه ليس **بشاعر** ولا كاهن ولا كاذب والناس". (٢)

٥١-"معنى التحريف والتعطيل والتكييف

وأما التعطيل فهو إخلاء النص عن معناه الذي أراده المتكلم؛ لأن التعطيل مأخوذ من العطل وهو الخلو كما سبق.

وقوله: (من غير تكييف) ، التكييف هو: طلب معرفة كيفية الشيء، وأهل السنة لا يسألون عن الكيفية؛ لأن الكيفية لا مطمع فيها؛ وذلك أن الكيفية تتطلب أمرين لابد منهما: أحدهما: المشاهدة، أن ترى الموصوف وتشاهده بعينك؛ لأن الكيفية هي حكاية الشيء على ما هو عليه، فإذا رأيته تستطيع أن تصف الكيفية التي رأيت، والله لا يرى، ولا أحد يشاهده سبحانه في الدنيا.

الأمر الثاني: أن يكون له نظير نراه ونشاهده، والله جل وعلا ليس له نظير، تعالى الله وتقدس، وبذلك ينقطع الطمع في إمكان الحصول على الكيفية، فالكيفية لا مطمع فيها، والله جل وعلا لا يدرك تعالى وتقدس ولا يحاط به، وإن رؤي

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية ٢/١٢٦

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية ٢/١٢٧

في الآخرة فالرؤية تكون لوجهه جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ [طه:١١٠]، وليس كما يقوله أهل البدع أن نفي الإحاطة تدل على نفي الرؤية، كلا.

٥٢-"لفظ القديم بين النفي والإثبات

ثم قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

وأقول في القرآن ما جاءت به آياته فهو القديم المنزل

لفظ: (القديم) عندنا، ولعل هذا اللفظ: (القديم) كان هو السبب في التوقف في نسبة هذه الرسالة أو هذه المنظومة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية ، ولكن يمكن أن يحمل على محمل صحيح، وعندها لا يوجد ثمة إشكال في الجملة.

و أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى منضبطون بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقولنا: قديم النوع، فيه رد على الكرامية التي تعتقد أن الكلام حدث لله بعد أن لم يكن متكلما فكان، لم يكن متكلما ثم حدثت له صفة الكلام، وهذا الكلام ليس صحيحا بل باطل، والسبب أنه يؤدي إلى أن يكون الله ناقصا ثم وجد له الكلام فأصبح كاملا به، ولهذا قالوا: أصلها قديم، أي: أنه لا بداية لكلام الله تعالى، فنقول: أفي هذا الزمن بدأ يتكلم وقبله لم يكن متكلما؟ بل الله سبحانه وتعالى موصوف بالكلام أزلا ولا بداية لكلامه سبحانه وتعالى.

قولنا: حادث الآحاد، أي: أن آحاده متجددة، بمعنى: أن الله قبل أن يخلق آدم خاطب الملائكة: ﴿ إني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [البقرة:٣٠] ثم بعد أن خلق الله آدم قال له: ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [البقرة:٣٥] هل كل هذا الكلام كان في وقت واحد؟ لا، الله تكلم قبل أن يخلق آدم، ثم تكلم بعد أن خلق آدم، كذلك قال لآدم: اخرج أنت وزوجك، أمرهم بالخروج من الجنة، فحدث كلام، ثم كلم موسى بعد ذلك، ثم كلم محمدا صلى الله عليه وسلم، ولم يزل ربنا يتكلم متى شاء كيف شاء.

وقولنا: متعلق بالإرادة والمشيئة: وهو أنه بمعنى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس:٨٢] وإذا أراد الله أن يتكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة، دل على أنه متعلق بإرادته ومشيئته، يتكلم متى شاء كيف شاء سبحانه وتعالى وبما شاء يتكلم.

وقولنا: (بحرف وصوت): لا يمكن أن يكون الكلام أبدا إلا بحروف؛ ولأننا نجد من طوائف المبتدعة من تقول: إن الكلام حدث كله في وقت واحد، وهذا قول للسالمية ، فمثلا: بسم الله الرحمن الرحيم، أو أي آية من القرآن قالوا: إنها خرجت جملة واحدة، فلم يتقدم الميم على الباء، في باسم الله، بل خرجت كلها خروجا واحدا، وهذا كلام باطل لا يمكن أن نسلم به بوجه من الوجوه، بل إن مجرد التأمل -كما قال الإمام ابن القيم - يكفي في بطلان هذا الرأي، وبطلان هذا القول.

وقولنا: (بحرف وصوت يسمع) ردا على المبتدعة الذين يقولون: إن كلام الله لا يسمع، كذلك بالصوت، فقد قال البخاري رحمه الله تعالى وذكره الحافظ ابن حجر وغيره من كبار أئمة السلف : إن كلام الله بصوت، والدليل عليه: ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ [مريم:٥٢] والنداء لا يكون إلا بصوت، إذا قيل: ناد فلانا، لا يمكن أن تناديه بدون صوت، والله سبحانه وتعالى نادى موسى عليه الصلاة والسلام، ونادى محمدا، وحصل له مناداة ومناجاة، ويقال: إن

النداء يكون بصوت مرتفع، والنجاء يكون بصوت منخفض، وكلها تدل على أن فيها صوتا، وأنها تسمع، فسمع آدم كلام الله، وسمع موسى كلام الله، وسمع محمد صلى الله عليه وسلم كلام الله تعالى.

نأتي إلى لفظ: (القديم) إطلاق القدم بالنسبة للرب سبحانه وتعالى نجد أن صاحب الطحاوية قال: (قديم بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء) والأصل عندنا في الألفاظ التي نصف الله تعالى أو نسمي الله بها أنه لابد فيها من نص، فلفظ القديم لا نطلقه على الله تعالى على أنه من أسمائه وصفاته لأننا لم نجد له دليلا من كتاب ولا سنة، وإنما الدليل ورد في الأول: (أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء) أما إطلاق (القديم) فإنه لا يعتبر من أسماء الله الحسنى.

ومن غرائب المتكلمين أنهم يجعلون أخص وصف لله هو القدم!! وهذا قول للمعتزلة ، وذكر العلماء رحمهم الله تعالى أن لفظ القدم ليس من الأسماء أو الصفات التي هي حسنى، والسبب: أن الله لما ذكر القمر قال: ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ [يس:٣٩] والعرجون القديم دل على أنه كان من قبل فيه كمال ثم رجع عرجونا، والعراجين هي في النخل يحصل فيها ميلان، ثم بعد ذلك كانت قبل ليست مائلة، ثم حدث فيها ميلان، ووصف القدم يدل على أنه كان سابقا فيه شيء من الحسن، ثم بعد ذلك تقادم فأصبح الناس لا يرون فيه حسنا، ولهذا تجد أن العملات القديمة والآثار القديمة وغيرها ليست مجالا لأن يعتز بها وتعتبر شيئا حسنا في الجملة، ولهذا لما ذكر الله: ﴿ أنتم وآباؤكم الأقدمون ﴾ **[الشعراء:**٧٦] يعني: المتقدمون عليكم أنتم.

وذكر الله أن فرعون يقدم قومه يوم القيامة بمعنى: يتقدم قومه، وسميت القدم قدما نظرا لأنها تتقدم على جسد الإنسان أو على بدنه في المشي، لكن إدخال (القديم) في أسماء الله الحسنى ليس بصحيح، بل هو مشهور عند أهل الكلام ، وقد أنكر السلف عليهم في هذا، ولكن نقول: الأولى الأخذ بضابط الشرع ونقول: (أنت الأول فليس قبلك شيء) وهو الصحيح الذي دل عليه الكتاب وسنة النبي صلى الله عليه وسلم .". (١)

قول المؤلف:

وإذا استدل يقول قال الأخطل

إذا استدل أي: إذا جاء بحجة وبرهان على ما يدل على مذهبهم الباطل، والاحتجاج الآن نفهم منه أن هذا خلاف منهج أهل السنة والجماعة ، ف أهل السنة والجماعة لا يجعلون حجتهم الرجال، وإنما حجتهم الكتاب والسنة، أما الرجال وعقولهم فلا نحتج بهم، ولهذا قالوا: إن أهل السنة والجماعة لا ينتسبون إلى رجل معين، إنما ينتسبون إلى كتاب الله، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم على فهم الصحابة، لكن لا ينتسبون إلى شخصية معينة، بخلاف المبتدعة فكل طائفة بدعية تنتسب إلى رجل، ف البيانية تنتسب إلى بيان بن سمعان ، و الجهمية تنتسب إلى الجهم بن صفوان ، و الخوارج ينتسبون إلى أشخاص معينين خرجوا، و الزيدية ينتسبون إلى زيد بن علي ، أما أهل السنة والجماعة فينتسبون إلى المنهج الذي جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال:

---

(١) شرح لامية شيخ الإسلام ابن تيمية ٤/١١

وإذا استدل يقول قال الأخطل

كان الأخطل مسرفا في شرب الخمر، ولا شك أن النصارى يستبيحون هذا الأمر، ويرون أن: الخمر هي مصدر الإلهام الشعري، ولا شك أن هذا الكلام باطل وغير صحيح.

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

إن البيان لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وإذا قصد (إن البيان لفي الفؤاد) قد يكون المعنى له وجه من الصحة.

ثم نقول كذلك: كيف يستدل بالنصارى في مسألة الكلام وهم من أضل الناس في كلام الله تعالى؟ كيف خلق عيسى عليه الصلاة والسلام؟ هل هو ذات الكلام أم أنه خلق بكلام الله؟ هم يقولون: هو كلام الله وهذا الكلام باطل، بل إن عيسى عليه الصلاة والسلام خلق بكلام الله تعالى، خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بكلام الله تعالى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس:٨٢].

فعيسى ليس هو الكلمة، وإنما خلق بكلمة: كن، فكان عليه الصلاة والسلام.

ثم نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لنا: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) أنت إذا دخلت الصلاة لا يجوز لك أن تتكلم فتقول: يا فلان! كيف حالك، أو تسلم على فلان، أو ترد على أحد سلاما، لكن أنت في الصلاة وأنت محرم بما يحدث من الكلام في النفس أمر عجيب، بل ربما يلفظ الإنسان لا شعوريا ويتحدث في الصلاة بأمر، يبيع ويشتري ويبني ويسكن ويذهب ويرجع، وهو محرم بالصلاة، هل يقال: هذه تبطل صلاة الإنسان؟ لا، وإنما الذي يبطله هو ما تلفظ به.

ولهذا اتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم بصوته متعمدا في صلاته بطلت صلاته، لكن ما خطر في قلبه لا يعتبر كلاما ولا يلتفت إليه أصلا، ثم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (عفي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل) دل على أن حديث النفس لا يسمى كلاما، ولا يمكن أبدا أن نفسر كلام الله تعالى على أنه حديث النفس، ونجد هذا مدلوله في لغة العرب، بل نجد القرآن نزل بلغة العرب، وهذا هو المدلول الصحيح في ذلك.

٥٤-"حقيقة الأخطل

حجة هؤلاء هو قول الرجال، وهذا فيه رد على **الأشاعرة** الذين يستدلون بقول الأخطل ، و الأخطل **شاعر** نصراني، ولد في الصحراء الشامية -أي: في الشام - واسمه: غياث بن الصلت بن طارقة ، وينسب إلى عشيرة بني جشم بن بكر التغلبية، وبعض العلماء يقولون: تعتبر هذه العشيرة من القبائل العربية، ولكنها كانت قبيلة نصرانية، كانت أمه اسمها ليلى من قبيلة إياد النصرانية، وكنيته أبو مالك ، وقد عاش هذا الرجل ومات نصرانيا، ولم يكن على الإسلام، قالوا: قبحه الله كان يظهر تعليق الصليب على صدره وفي عنقه، وهذه من عادة النصارى، وذكر أن الخليفة دعاه إلى الإسلام فرفض ولم يقبله، وهجا خصومه من المسلمين، وكان في عصر جرير و الفرزدق ، وكان بينه وبين جرير أشعار وذم وقدح، وليس غريبا أن يحدث بين **الشعراء** مثل هذا.

كان الأخطل مسرفا في شرب الخمر، ولا شك أن النصارى يستبيحون هذا الأمر، ويرون أن: الخمر هي مصدر الإلهام الشعري، ولا شك أن هذا الكلام باطل وغير صحيح.

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

إن البيان لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

وإذا قصد (إن البيان لفي الفؤاد) قد يكون المعنى له وجه من الصحة.

ثم نقول كذلك: كيف يستدل بالنصارى في مسألة الكلام وهم من أضل الناس في كلام الله تعالى؟ أليس عيسى عليه الصلاة والسلام كيف خلق؟ هل هو ذات الكلام أم أنه خلق بكلام الله؟ هم يقولون: هو كلام الله وهذا الكلام باطل، بل إن عيسى عليه الصلاة والسلام خلق بكلام الله تعالى، خلق عيسى عليه الصلاة والسلام بكلام الله تعالى: ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [يس:٨٢].

فعيسى ليس هو الكلمة، وإنما خلق بكلمة: كن، فكان عليه الصلاة والسلام.

ثم نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال لنا: (إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس) أنت إذا دخلت الصلاة لا يجوز لك أن تتكلم فتقول: يا فلان! كيف حالك، أو تسلم على فلان، أو ترد على أحد سلاما، لكن أنت في الصلاة وأنت مكبر كم يحدث من الكلام في النفس أمرا عجيبا، بل ربما يلفظ الإنسان لا شعوريا ويتحدث في الصلاة بأمر، يبيع ويشتري ويبني ويسكن ويذهب ويرجع، وهو مكبر في الصلاة، هل يقال: هذه تبطل صلاة الإنسان؟ لا، وإنما الذي يبطله هو ما تلفظ به.

ولهذا اتفق العلماء على أن المصلي إذا تكلم بصوته متعمدا في صلاته بطلت صلاته، لكن ما خطر في قلبه لا يعتبر كلاما ولا يلتفت إليه أصلا، ثم نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (عفي عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل) دل على أن حديث النفس لا يسمى كلاما، ولا يمكن أبدا أن نفسر كلام الله تعالى على أنه حديث النفس، ونجد هذا مدلوله في لغة العرب، بل نجد القرآن نزل بلغة العرب، وهذا هو المدلول الصحيح في ذلك.

٥٥-"فرق بين أن يؤلف الإنسان كتابا فينقل الأقوال ويجمعها في الباب ، وأن يأتي إلى الأقوال فينتقدها ويناقشها ، ويأخذ الصحيح منها ويترك الضعيف ،ويستفيد من العبارات ويقوم المعوج منها ، ويثني على الطيب ويعقب على الواهن والضعيف ، وهذا ما يفعله ابن تيمية ؛ فإنه لا يقبل القول على عواهنه ، بل يناقش الأقوال عبارة عبارة ، وفصلا فصلا ، ويشيد بالحسن الجميل ،ويرد الواهي الهزيل ، وتجدد يتجرأ حتى على الأكابر في كثير من المسائل ،ويبين الوهم فيكل مسالة ، ويجمع أطراف الموضوع ، ويأخذ المعلومة فيوظفها هو بعبارته ويكسوها بجلباب جملة القوية الآسرة الأخاذة ؛ فإن له قاموسا خاصا ، فيه من الجلالة والفخامة والإشراف ما أمتاز به هذا الرجل ، فكأنه **شاعر** موهوب عبقري يمتاز عن بقية **الشعراء** ، وكذلك كان ابن تيمية في المؤلفين ، له رونق خاص ، وديوان متفرد يعلم أنه من كلامه لجلاله حديثة وسمو عباراته .

ابن تيمية ومسألة التوحيد

من أعظم المسائل التي يجب البحث فيها والكلام عنها مسألة التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام ،وقد أحسن ابن تيمية كل الإحسان في هذه المسألة ، فاستولت على جل حديثة وكتاباته ورسائله وتأليفه ، واعتنى بها كل العناية ؛ لحاجة البشر غليها ، فالله – عز وجل – لم يرسل الرسل أصلا ولم ينزل الكتب إلا لتقريرها ، فبسطها شيخ الإسلام بأنواعها كتوحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتحدث عن أفعاله سبحانه وتعالى ، وتحدث عن مسألة الشرك بأقسامه وبينها برسائل ومؤلفات ، وبسطها فبعدة مواطن ، ونوع الأساليب فيها ؛ لأنه يعلم أنها أصيل الأصول وأنها أكبر المائل وأنها أعظم القضايا ، فهو بحق منظر أهل السنة والجماعة في ماله التوحيد ، وهو إمامهم من عصره فما بعده في قضية المعتقد ، وهو الذي أقام هذا الفن وشرحه ودافع عنه وناظل عن قضاياه وبين الحق في ذلك. ابن تيمية ومسألة التاريخ". (١)

٥٦-"صدر ابن تيمية منشرح ، ونفسه قوية واثقة بربها سبحانه وتعالى ، وهو صاحب ثقة فيما عند الله عز وجل ، ومتفائل بالنصر دائما والعاقبة الحسنة لأولياء الله ، وهو حسن الظن بربه ، وينظر بنظرة متفائلة للأمور ، وهو صاحب رجاء ؛ فإذا تكلم فيما أعد الله لأوليائه أسهب وأظنب ، وإذا تكلم عن أهل التوحيد بين ما لهم عند الله عز وجل من مصير مبارك ، وأذا تكلم عن التوبة رغبك في رحمة الله عز وجل ، وحبب إليك الإنابة ، وقربك من المغفرة ، وذلك على طريق العودة إلى الله عز وجل ، لا تقرأ في كلامه اليأس ، ولا تفهم منه القنوط ، ولا تجد فيه إحباطا ، كما يفعل بعض غلاة الصوفية الذين يقتلون النفس بكثرة التأنيب وسياط التأديب ، ويكثرون من النقول في مسألة الخوف حتى يصاب الإنسان بالإحباط والقنوط واليأس من روح الله ، فيترك العمل ، لكنك كما قرأت لابن تيمية وجدت نشاطا وانبساطا وراحة وقوة على العبادة وعلى الذكر ، وزال عنك الهم والغم والحزن، وهذا أمر مجرب شهد به أصحابه وطلابه ، ومن شك في ذلك فليأخذ فترة من فترات الزمن ويبقى على اتصال بكتب هذا الإمام ، ثم لياخذ فترة أخرى ويقرأ لغيره ، ليجد البون الشاسع في هذه المسألة الكبرى .

ابن تيمية والشعر

الأدب – في العموم – قالب جميل وحسن يقدم فيه العالم علمه ، وابن تيمية صاحب عبارة أخاذة آسرة ساحرة في الجملة ، ولكنه لم يكن **شاعرا** بالمعنى الحقيقي ، ربما نظم القصائد والأبيات واستشهد لكبار **الشعراء** كالمتنبي وغيره ، ولكن بحد وباقتصاد ، وربما شرح البيت الذي يورده ، فيأتي بشاهد على كلمة في اللغة ، أو بدليل لرايه ، أو ينقل لكلام غيره من النظم ، إذا أراد ؛ فقد كتب قصيدة رد فيها على يهودي في أكثر من مائتي بيت في جلسة واحدة ، وكان يكتب المقطوعات التي فيها الدعوة إلى الله عز وجل ، وبيان مذهب الحق ، وربما استشهد بالبيت بالعيد في مسألة المحبة والخوف والرجاء ، وهذا من الاستشهاد الإشاري .". (٢)

---

(١) على ساحل ابن تيمية ص/٣٣

(٢) على ساحل ابن تيمية ص/٦١

٥٧-"كما قال في **الشعراء** : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ ﴿ على قلبك ﴾ إلى قوله : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ ﴿ وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾ إلى قوله : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ﴾ ﴿ تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ ﴿ يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ . وأضافه إلى الرسول البشري في قوله : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون ﴾ ﴿ وما لا تبصرون ﴾ ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ ﴿ وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ﴾ ﴿ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ﴾ ﴿ تنزيل من رب العالمين ﴾ فنفى عنه أن يكون قول **شاعر** أو كاهن وهما من البشر . كما ذكر في آخر **الشعراء** : أن الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم . كالكهنة الذين يلقون إليهم السمع وأن **الشعراء** يتبعهم الغاوون . فهذان الصنفان اللذان قد يشتبهان بالرسول من البشر لما نفاهما : علم أن الرسول الكريم : هو المصطفى من البشر فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس كما أنه في سورة التكوير : لما كان الشيطان قد يشبه بالملك - فنفى أن يكون قول شيطان رجيم - علم أن الرسول المذكور هو المصطفى من الملائكة ." . (١)

٥٨-"وفي إضافته إلى هذا الرسول تارة وإلى هذا تارة : دليل على أنه إضافة بلاغ وأداء لا إضافة إحداث لشيء منه أو إنشاء كما يقوله بعض المبتدعة الأشعرية من أن حروفه ابتداء جبرائيل أو محمد مضاهاة منهم في نصف قولهم لمن قال : إنه قول البشر من مشركي العرب ممن يزعم أنه أنشأه بفضله وقوة نفسه ومن المتفلسفة الذين يزعمون أن المعاني والحروف تأليفه ؛ لكنها فاضت عليه كما يفيض العلم على غيره من العلماء . فالكاهن مستمد من الشياطين . ﴿ **والشعراء** يتبعهم الغاوون ﴾ وكلاهما في لفظه وزن . هذا سجع وهذا نظم وكلاهما له معان من وحي الشياطين . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . من همزه ونفثه ونفخه ﴾ وقال : " همزه الموتة ونفثه الشعر ونفخه الكبر " وقوله تعالى ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ ينفي الأمرين كما أنه في السورة الأخرى قال : ﴿ وما هو بقول **شاعر** ﴾ ﴿ ولا بقول كاهن ﴾ وكذلك قال في **الشعراء** : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ مطلقا . ثم ذكر علامة من تنزل عليه الشياطين : بأنه أفاك أثيم وأن **الشعراء** يتبعهم الغاوون .". (٢)

٥٩-"فظاهر القرآن : ليس فيه أن **الشعراء** تتنزل عليهم الشياطين إلا إذا كان أحدهم كذابا أثيما فالكذاب : في قوله وخبره . والأثيم : في فعله وأمره . وذاك والله أعلم : لأن الشعر يكون من الشيطان تارة ويكون من النفس أخرى . كما أنه إذا كان حقا يكون من روح القدس كما ﴿ قال النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا لحسان بن ثابت : اللهم أيده بروح القدس ﴾ وقال : ﴿ اهجهم وهاجهم وجبرائيل معك ﴾ فلما نفى قسم الشيطان نفى قسم النفس ؛ ولهذا قال : ﴿ يتبعهم الغاوون ﴾ وألغى اتباع الشهوات التي هي هوى النفوس . ولهذا قال أبو حيان ما كان من نفسك فأحبته نفسك لنفسك فهو من نفسك فانهها عنه وما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك : فهو من الشيطان فاستعذ بالله منه فهذا

(١) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ٢٢١/٢

(٢) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ٢٢٢/٢

والله أعلم سبب ذلك . وأما التقسيم إلى الكاهن **والشاعر** من جهة المعنى فهو – والله أعلم – لأن الكلام نوعان : خبر وإنشاء . والكاهن يخبر بالغيوب مخلطا فيه الصدق بالكذب لا يأتون بالحق محضا وإذا ألقى الشيطان في أمنية أحدهم شيئا في القلب : لم ينسخ منه بل أكثرهم كاذبون .". (١)

٦٠–"مسمى الرأس واليد والرجل . وأيضا فالناطقون باللغة يحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها لا بما يذكرونه من الحدود فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا واليد كذا والكلام كذا واللون كذا بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها فتعرف لغتهم من استعمالهم . فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى " الكلام " ولا أحد من **الشعراء** يقصد ذلك البتة ؛ وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر أي أصل الكلام من الفؤاد وهو المعنى ؛ فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به ؛ وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ؛ ولهذا قال : لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل ؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا . وقوله : " مع الكلام " دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاما وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه وهذا حجة عليهم ؛ فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ؛ بل قوله : " مع الكلام " مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به ، واللسان دليل على ذلك . و " بالجملة " فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى " الكلام " في لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر أجناس بني آدم بقول **شاعر** فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين ؛ وليس من **الشعراء** القدماء وهو نصراني كافر مثلث واسمه الأخطل والخطل فساد في الكلام وهو نصراني والنصارى قد أخطئوا في مسمى الكلام فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله . فتبين أنه إن كان " الإيمان " في اللغة هو التصديق والقرآن إنما أراد به مجرد التصديق الذي هو قول ولم يسم العمل تصديقا فليس الصواب إلا قول المرجئة : إنه اللفظ والمعنى . أو قول الكرامية : إنه قول باللسان فقط فإن تسمية قول اللسان قولا أشهر في اللغة من تسمية معنى في القلب قولا . كقوله تعالى : ﴿ يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ﴾ وقوله : ﴿ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴾ وأمثال ذلك بخلاف ما في النفس فإنه إنما يسمى حديثا . والكرامية يقولون : المنافق مؤمن وهو مخلد في النار لأنه آمن ظاهرا لا باطنا وإنما يدخل الجنة من آمن ظاهرا وباطنا . قالوا : والدليل على شمول الإيمان له أنه يدخل في الأحكام الدينية المتعلقة باسم الإيمان كقوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾ ويخاطب في الظاهر بالجمعة والطهارة وغير ذلك مما خوطب به الذين آمنوا . وأما من صدق بقلبه ولم يتكلم بلسانه فإنه لا يتعلق به شيء من أحكام الإيمان لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا يدخل في خطاب الله لعباده بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ فعلم أن قول الكرامية في الإيمان وإن كان باطلا مبتدعا لم يسبقهم إليه أحد فقول الجهمية أبطل منه وأولئك أقرب إلى الاستدلال باللغة والقرآن والعقل من

(١) فلسفة السعادة عند ابن تيمية ٢/٢٢٣

الجهمية . و". (١)

٦١-"ص -٥٠- الملك، نفي أن يكون قول الشيطان . كما قال في **الشعراء** : ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾ إلى قوله : ﴿ وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون ﴾ إلى قوله : هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [**الشعراء** : ٢٢١ : ٢٢٣] .

وأضافه إلى الرسول البشري في قوله : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٣٨ : ٤٣] فنفي عنه أن يكون قول **شاعر**، أو كاهن، وهما من البشر . كما ذكر في **آخرالشعراء** : أن الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم؛ كالكهنة، الذين يلقون إليهم السمع، وأن **الشعراء** يتبعهم الغاوون .

فهذان الصنفان اللذان قد يشتبهان بالرسول من البشر، لما نفاهما علم أن الرسول الكريم هو المصطفي من البشر، فإن الله يصطفي من الملائكة رسلا، ومن الناس، كما أنه في سورة التكوير لما كان الشيطان قد يشبه بالملك فنفي أن يكون قول شيطان رجيم علم أن الرسول المذكور هو المصطفي من الملائكة .

وفي إضافته إلى هذا الرسول تارة، وإلى هذا تارة، دليل على أنه إضافة بلاغ وأداء، لا إضافة إحداث لشيء منه أو إنشاء، كما يقوله بعض المبتدعة الأشعرية، من أن حروفه ابتداء جبرائيل، أو محمد، مضاهاة منهم في نصف قولهم لمن قال : إنه قول البشر، من مشركي العرب، ممن يزعم أنه أنشأه". (٢)

٦٢-"ص -٥١- بفضله، وقوة نفسه، ومن المتفلسفة الذين يزعمون أن المعاني والحروف تأليفه، لكنها فاضت عليه، كما يفيض العلم على غيره من العلماء .

فالكاهن مستمد من الشياطين ﴿ **والشعراء** يتبعهم الغاوون ﴾ [**الشعراء** : ٢٢٤] وكلاهما في لفظه وزن . هذا سجع وهذا نظم، وكلاهما له معان من وحي الشياطين . كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفثه، ونفخه " . وقال : " همزه الموتة، ونفثه الشعر، ونفخه الكبر " وقوله تعالى : ﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ [التكوير : ٢٥] : ينفي الأمرين، كما أنه في السورة الأخرى قال : ﴿ وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن ﴾ [الحاقة : ٤١، ٤٢] وكذلك قال في **الشعراء** : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ [**الشعراء** : ٢١٠] مطلقا .

ثم ذكر علامة من تنزل عليه الشياطين : بأنه أفاك أثيم، وأن **الشعراء** يتبعهم الغاوون . فظاهر القرآن ليس فيه أن **الشعراء** تتنزل عليهم الشياطين، إلا إذا كان أحدهم كذابا أثيما، فالكذاب : في قوله، وخبره . والأثيم : في فعله وأمره .

---

(١) كتاب الإيمان الكبير ص/٧٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣/١٩

وذاك والله أعلم لأن الشعر يكون من الشيطان تارة، ويكون من النفس أخرى . كما أنه إذا كان حقا يكون من روح القدس، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا لحسان بن ثابت : " اللهم أيده بروح القدس " . وقال : " اهجهم أو هاجهم وجبرائيل معك " فلما نفي قسم الشيطان نفي قسم النفس، ولهذا قال : ﴿ يتبعهم الغاوون ﴾ [**الشعراء** : ٢٢٤] والغي اتباع الشهوات، التي هي هوى النفوس .". (١)

٦٣-"ص -٥٣- وأما **الشاعر** فشأنه التحريك للنفوس، فهو من باب الأمر الخاص المرغب؛ فلهذا قيل فيهم : ﴿ يتبعهم الغاوون ﴾ [**الشعراء** : ٢٢٤] ، فضررهم في الأعمال لا في الاعتقادات، وأولئك ضررهم في الاعتقادات ويتبعها الأعمال؛ ولهذا قال : ﴿ أفاك أثيم ﴾ [الجاثية : ٧]

ومعنى الكهانة والشعر : موجود في كثير من المتفلسفة، والمتصوفة، والمتكلمة، والمتفقهة، والعامة، والمتفقرة، الخارجين عن الشريعة الذين يتكلمون بالغيوب عن كهانة، ويحركون النفوس بالشعر ونحوه وهم من أتباع المتنبئين الكذابين لهم مادة من الشياطين . كما قد رأيناه كثيرا في أنواع من هذه الطوائف وغيرها، لمن نور الله صدره، وقف في قلبه من نوره .". (٢)

٦٤-"ص -١٣٦- وقال تعالى : ﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ [**الشعراء** : ٢٢١، ٢٢٢] .

وأخبر أن كل من ارتد عن دين الله فلابد أن يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين، فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لآئم ذل ك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ [المائدة : ٥٤] .

وذلك أن مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام، وينظمونه من الشعر بين حديث مفترى، وشعر مفتعل، وإليهما أشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به : يا خليفة رسول الله، تألف الناس . فأخذ بلحيته وقال : يا بن الخطاب، أجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام ؟ علام أتألفهم ؟ أعلى حديث مفترى أم شعر مفتعل ؟ يقول : إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى كقرآن مسيلمة، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الأسدي . وهذان النوعان، هما اللذان يعارض بهما القرآن أهل الفجور والإفك المبين، قال تعالى : ﴿ فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٣٨: ٤٣]،". (٣)

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٤/١٩

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٦/١٩

(٣) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٤/٢٤

٦٥-"ص -١٣٧- وقال تعالى : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء: ١٩٢،١٩٣]، إلى قوله : ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ إلى آخر السورة .

فذكر في هذه السورة علامة الكهان الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزهه عن هذين الصنفين، كما في سورة الحاقة . وقال تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم . ذي قوة عند ذي بعرش مكين ﴾ إلى آخر السورة . فالرسول هنا جبريل، وفي الآية الأولى محمد صلى الله عليه وسلم، ولهذا نزه محمدا هناك عن أن يكون شاعرا أو كاهنا، ونزه هنا الرسول إليه أن يكون من الشياطين .". [1]

٦٦-"ص -١٣٩- من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم : إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم .

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى الكلام ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد : إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر، أي : أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين، ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؛ ولهذا قال :

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل؛ ولهذا قال : حتى يكون مع الكلام أصيلا . وقوله : مع الكلام : دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاما، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله : [مع الكلام] مطلق . وقوله : إن الكلام لفي الفؤاد . أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك .

و بالجملة، فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب، والفرس، والروم، والترك، وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر، فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم . ثم هو من المولدين، وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني". [2]

٦٧-"ص -٥٩٦- الموجودات فلا إله إلا هو، كما قال تعالى : ﴿ فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين ﴾ [الشعراء : ٢١٣] وكما قال تعالى : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ [الزمر : ٦٤] وقال : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السماوات والأرض ﴾ [الأنعام : ١٤] وهؤلاء الملاحدة ما عندهم غير يمكن أن يعبد، ولا غير يمكن أن يتخذ وليا، ولا إلها بل هو العابد والمعبود والمصلي والمصلى له .

كما قال شاعرهم ابن الفارض في قصيدته : [نظم السلوك]

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٥/٢٤

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٥٢/١١١

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلتي

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

إلى قوله :

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل ركعة

إلي رسولا كنت مني مرسلا وذاتي بآياتي علي إستدلت

وقوله :

وما زلت إياها وإياي لم تزل ولا فرق بل ذاتي لذاتي أحبت

فهؤلاء [الجهمية] من المتكلمة والصوفية في قولهم : أن الايمان هو مجرد المعرفة والتصديق، يقولون : المعروف هو الموجود الموصوف بالسلب والنفي، كقولهم لا هو داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباين العالم، ولا محايث، ثم". [1]

٦٨-"وقال في أعدائه : ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، وقال : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ﴾ [الأنعام : ١١٢] ، وقال : ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ : ٢٢٧] ، وقال تعالى : ﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين وإنا لنعلم أن منكم مكذبين وإنه لحسرة على الكافرين وإنه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم ﴾ [الحاقة : ٣٨ : ٥٢] ،". [2]

٦٩-"ص -٢٧٣- وقال تعالى : ﴿فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإني معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ [الطور : ٢٩ : ٣٤] .

فنزه سبحانه وتعالى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عمن تقترن به الشياطين، من الكهان والشعراء والمجانين؛ وبين أن الذي جاءه بالقرآن ملك كريم اصطفاه . قال الله تعالى : ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [الحج : ٧٥] ، وقال تعالى : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٤٤/١١٣

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣١/١٨٥

زبر الأولين ﴾ [الشعراء : ١٩٢ : ١٩٥] ، وقال تعالى : ﴿قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ﴾ إلى قوله : ﴿وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٩٨ : ١٠٢] فسماه الروح الأمين،وسماه روح القدس .

وقال تعالى : ﴿فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس ﴾ [التكوير : ١٥، ١٦] يعني : الكواكب التي تكون في السماء خانسة أي : مختفية قبل طلوعها، فإذا ظهرت رآها الناس جارية في السماء، فإذا غربت ذهبت إلى كناسها الذي يحجبها ﴿والليل إذا عسعس ﴾ [التكوير : ١٧] أي : إذا أدبر، وأقبل الصبح ﴿والصبح إذا تنفس ﴾ [التكوير : ١٨]". (١)

٧٠-"ص -١٨- جهة القياس الفاسد . ولابد في القياس من قدر مشترك بين المشبه والمشبه به؛ مثل جنس الوحي والتنزيل؛ فإن الشياطين ينزلون على أوليائهم ويوحون إليهم، كقوله ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليآئهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾ [الأنعام : ١٢١] ، وقال سبحانه : ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون ﴾ [الشعراء : ٢٢١ ٢٢٣] .

وقال تعالى في ال ﴿طس ﴾ وقد افتتح كلا منهن بقصة موسى وتكليم الله إياه، وإرساله إلى فرعون، فإنها أعظم القصص كما قدمناه، فقال في سورة الشعراء المحتوية على قصص المرسلين واحدا بعد واحد، وهي سبع؛قصة موسى، وإبراهيم، ونوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، ثم قال عن القرآن : ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ﴾ [الشعراء : ١٩٢، ١٩٣] إلى قوله : ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾ [الشعراء : ٢٢٦] فذكر الفرق بينه وبين من تنزل عليه الشياطين من الكهان والمتنبئين ونحوهم، وبين الشعراء؛ لأن الكاهن قد يخبر بغيب بكلام مسجوع، والشاعر أيضا يأتي بكلام منظوم يحرك به النفوس؛ فإن قرين الشيطان مادته من الشيطان، ويعين الشيطان بكذبه وفجوره، والشاعر مادته من نفسه، وربما أعانه الشيطان .

فأخبر أن الشياطين إنما تنزل على من يناسبها، وهو الكاذب في قوله، الفاجر في عمله، بخلاف الصادق البر، وأن الشعراء إنما يحركون". (٢)

٧١-"ص -٢٧٥- والمقصود هنا الجواب عن مسائل السائل .

فصل

وأما قول القائل : أنتم تعتقدون أن موسى سمع كلام الله منه حقيقة من غير واسطة، وتقولون : إن الذي تسمعونه كلام الله حقيقة، وتسمعونه من وسائط بأصوات مختلفة، فما الفرق بين ذلك ؟

فيقال له : بين هذا وهذا من الفرق أعظم مما بين القدم والفرق . فإن كل عاقل يفرق بين سماع كلام النبي صلى الله عليه

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٣٢/١٨٥

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ١٨/٢٠٤

وسلم منه بغير واسطة كسماع الصحابة منه وبين سماعه منه بواسطة المبلغين عنه كأبي هريرة وأبي سعيد وابن عمر وابن عباس . وكل من السامعين سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة، وكذلك من سمع شعر حسان بن ثابت أو عبد الله بن رواحة أوغيرهما من الشعراء منه بلا واسطة ومن سمعه من الرواة عنه يعلم الفرق بين هذا وهذا، وهو في الموضعين شعر حسان لا شعر غيره، والإنسان إذا تعلم شعر غيره فهو يعلم أن ذلك الشاعر أنشأ معانيه ونظم حروفه بأصواته المقطعة، وإن كان المبلغ يرويه بحركة نفسه وأصوات نفسه .". (١)

٧٢-"ص -٥٥٥- تعالى : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء : ١٩٣ ١٩٥] .

وأما قوله تعالى : ﴿نه لقول رسول كريم ﴾ فإنه أضافه إليه؛ لأنه بلغه وأداه لا لكونه أحدث منه شيئا وابتداه؛ فإنه سبحانه قال في إحدى الآيتين : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ﴾ [الحاقة : ٤٠٤٣] ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم . وقال في الآية الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩٢١] . فالرسول هنا جبريل، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فلو كانت إضافته إلى أحدهما لكونه ألف النظم العربي، وأحدث منه شيئا غير ذلك تناقض الكلام؛ فإنه إن كان نظم أحدهما لم يكن نظم الآخر .

وأيضا، فإنه قال : ﴿لقول رسول ﴾ ولم يقل : لقول ملك ولا نبي، ولفظ [الرسول] يشعر بأنه مبلغ له عن مرسله، لا أنه أنشأ من عنده شيئا .

وأيضا، فقوله : ﴿نه لقول رسول كريم ﴾ ضمير يعود إلى القرآن،". (٢)

٧٣-"ص -٢٠١- وقال : ﴿أ أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٧٥٧٧] ، وقال تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ [الممتحنة : ٤] . قلت لبعض من خاطبته من شيوخ هؤلاء : قول الخليل : ﴿إنا براء منكم ﴾ ممن تبرأ الخليل ؟ أتبرأ من الله تعالى وعندكم ما عبد غير الله قط ؟ والخليل قد تبرأ من كل ما كانوا يعبدون إلا من رب العالمين، وقد جعله الله لنا وفيمن معه أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال تعالى : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٠/٢١٠

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٣/٢١٥

واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ومن يتول فإن الله هو الغني الحميد ﴾ [الممتحنة : ٤ ٦] .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : " أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد :". (١)

٧٤-"ص -٨٢- أولى بأن يكون داخلا فيمن عضه القرآن، ورماه بالإفك، وجعل القرآن العربي كلام مخلوق إما بشر وإما ملك وإما غيرهما فمن جعل القرآن كله كلام الله ليس بمخلوق ولا هو من إحداث مخلوق لا جبريل ولا محمد ولا شيء منه، بل جبريل رسول ملك، ومحمد رسول بشر، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، فاصطفى لكلامه الرسول الملكي، فنزل به على الرسول البشري الذي اصطفاه، وقد أضافه إلى كل من الرسولين؛ لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأه وابتداه، قال تعالى : ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ [التكوير : ١٩ :٢١] ، فهذا نعت جبريل الذي قال فيه : ﴿من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله ﴾ [البقرة : ٩٧] ، وقال : ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [الشعراء ١٩٣ : ١٩٥] ، وقال : ﴿وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ﴾ [النحل ١٠١ : ١٠٢] ، وقال في الآية الأخرى : ﴿إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾ [الحاقة ٤٠ : ٤٧] ، فهذه صفة محمد صلى الله عليه وسلم .

وأضاف القول إلى كل منهما باسم الرسول فقال : ﴿لقول رسول ﴾ ؛". (٢)

٧٥-"ص -٨٠- سورة التكوير

وقال شيخ الإسلام رحمه الله :

فصل

قوله : ﴿وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت ﴾ [التكوير : ٨، ٩] ، دليل علي أنه لا يجوز قتل النفس إلا بذنب منها، فلا يجوز قتل الصبي والمجنون؛ لأن القلم مرفوع عنهما، فلا ذنب لهما، وهذه العلة لا ينبغي أن يشك فيها في النهي عن قتل صبيان أهل الحرب، وأما العلة المشتركة بينهم وبين النساء فكونهم ليسوا من أهل القتال علي الصحيح الذي هو قول الجمهور، أو كونهم يصيرون للمسلمين .

فأما التعليل بهذا وحده في الصبي فلا، والآية تقتضي ذم قتل كل من لا ذنب له من صغير وكبير، وسؤالها توبيخ قاتلها، وقوله في السورة : ﴿إنه لقول رسول كريم ﴾ إلى قوله : ﴿وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ [التكوير : ١٩ - ٢٥] ، هو جبريل وهو نظير ما في سورة الشعراء، أنه تنزلت به الملائكة لا الشياطين؛ بخلاف الإفك ونحوه، فإنه تنزل به الشياطين،

---

(١) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢٠٦/٢٢١

(٢) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٨١/٢٣٨

فوقع الفرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والأفاك **والشاعر** والكاهن، وبين الملك والشيطان، والعلماء ورثة الأنبياء .". (1)

٧٦-"مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى الدين

أما بعد :

فهذا كتاب عن مفهوم الفناء عند شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله استخرجته من مجموع الفتاوى وهو في الأصل صار مصطلحا صوفيا

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن جميع أنواع الفناء وهي :

بمعنى الموت قال تعالى : ﴿كل من عليها فان﴾ (٢٦) سورة الرحمن

وتكلم عن الفناء أي الباحة الواسعة للأرض

ثم تكلم عن الفناء عند الصوفية ((وهو المقصود بكتابنا هذا)) فقال رحمه الله :

[الفناء] الذي يوجد في كلام الصوفية يفسر بثلاثة أمور :

أحدها : فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، والتوكل عليه وعبادته، وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص، وهو في الحقيقة عبادة القلب، وتوكله، واستعانته، وتألهه وإنابته، وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال . وليس لأحد خروج عن هذا .

وهذا هو القلب السليم الذي قال الله فيه : ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [**الشعراء** : ٨٩] وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة، وما يتبع ذلك .

/وهذا [الفناء] لا ينافيه البقاء، بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانيا عن إرادة ما سواه، وإن كان **شاعرا** بالله وبالسوى، وترجمته قول : لا إله إلا الله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :) لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن) وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره .". (2)

٧٧-"وقول القائل : ما ثم غير إذا أراد به ما يريده أهل الوحدة، أي ما ثم غير موجود سوى الله : فهذا كفر صريح . ولو لم يكن ثم غير لم يقل : ﴿ قل أغير الله أتخذ وليا ﴾ [الأنعام : ١٤] ولم يقل : ﴿ قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ [الزمر : ٦٤] فإنهم كانوا يأمرونه بعبادة الأوثان، فلو لم يكن غير الله لم يصح قوله : ﴿ أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون ﴾ ولم يقل : ﴿ أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا ﴾ [الأنعام : ١١٤]

---

(1) مجموع الفتاوى (مجمع الملك فهد) ٢/٢٤٩

(2) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ١/١

ولم يقل الخليل : ﴿ قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين ﴾ [الشعراء : ٧٥، ٧٧] ولم يقل : فطرني ﴿ إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾ [الزخرف : ٢٦، ٢٧] فإن إبراهيم لم يعاد ربه، ولم يتبرأ من ربه، فإن لم تكن تلك الآلهة التي كانوا يعبدونها هم وآباؤهم الأقدمون غير الله، لكان إبراهيم قد تبرأ من الله وعادى الله، وحاشا إبراهيم من ذلك .

وهؤلاء الملاحدة في أول أمرهم ينفون الصفات، ويقولون : القرآن هو الله، أو غير الله . فإذا قيل لهم : غير الله . قالوا : فغير الله مخلوق .

وفي آخر أمرهم يقولون : ما ثم موجود غير الله، أو يقولون : العالم لا هو الله ولا هو غيره .

ويقولون :

/وكل كلام في الوجود كلامه ** سواء علينا نثره ونظامه

فينكرون على أهل السنة إذا أثبتوا الصفات، ولم يطلقوا عليها اسم الغير، وهم لا يطلقون على المخلوقات اسم الغير، وقد سمعت هذا التناقض من مشايخهم، فإنهم في ضلال مبين .

وأما قول الشاعر في شعره :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا ؟ **

وقوله :

إذا كنت ليلى وليلى أنا **". (١)

٧٨-"أحدها : فناء القلب عن إرادة ما سوى الرب، والتوكل عليه وعبادته، وما يتبع ذلك، فهذا حق صحيح وهو محض التوحيد والإخلاص، وهو في الحقيقة عبادة القلب، وتوكله، واستعانته، وتألهه وإنابته، وتوجهه إلى الله وحده لا شريك له، وما يتبع ذلك من المعارف والأحوال . وليس لأحد خروج عن هذا .

وهذا هو القلب السليم الذي قال الله فيه : ﴿ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء : ٨٩] وهو سلامة القلب عن الاعتقادات الفاسدة، والإرادات الفاسدة، وما يتبع ذلك .

/وهذا [الفناء] لا ينافيه البقاء، بل يجتمع هو والبقاء فيكون العبد فانيا عن إرادة ما سواه، وإن كان شاعرا بالله وبالسوى، وترجمته قول : لا إله إلا الله، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول :) لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن) وهذا في الجملة هو أول الدين وآخره .

الأمر الثاني : فناء القلب عن شهود ما سوى الرب، فذاك فناء عن الإرادة، وهذا فناء عن الشهادة، ذاك فناء عن عبادة الغير والتوكل عليه، وهذا فناء عن العلم بالغير والنظر إليه، فهذا الفناء فيه نقص، فإن شهود الحقائق على ما هي عليه، وهو شهود الرب مدبرا العبادة، آمرا بشرائعه، أكمل من شهود وجوده، أو صفة من صفاته، أو اسم من أسمائه، والفناء

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ١/٧١

بذلك عن شهود ما سوى ذلك .". (١)

٧٩-" وقولهم بجواز المعاصي عليهم وإلا فلم يلتزموا أن يكون النبي كافرا ولازم المذهب لا يجب أن يكون مذهبا وطوائف أهل الكلام الذين يجوزون بعثة كل مكلف من الجهمية والأشعرية ومن وافقهم من أتباع الأئمة الأربعة كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وغيرهم متفقون أيضا على أن الأنبياء أفضل الخلق وأن النبي لا يكون فاجرا لكن يقولون هذا لم يعلم بالعقل بل علم بالسمع بناء على ما تقدم من أصلهم من أن الله يجوز أن يفعل كل ممكن

وأما الجمهور الذين يثبتون الحكمة والأسباب فيقولون نحن نعلم بما علمناه من حكمة الله أنه لا يبعث نبيا فاجرا وأن ما ينزل على البر الصادق لا يكون إلا ملائكة لا تكون شياطين كما قال تعالى وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين إلى قوله هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون **والشعراء** يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون سورة **الشعراء** ١٩٢ ٢٢٦

فهذا مما بين الله به الفرق بين الكاهن والنبي وبين **الشاعر** والنبي لما زعم المفترون أن محمدا صلى الله عليه و سلم **شاعر** وكاهن وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم لما أتاه الوحي في أول الأمر وخاف على نفسه قبل أن يستيقن أنه ملك قال لخديجة لقد خشيت على نفسي قالت كلا والله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل ". (٢)

٨٠-" تكلفه متأخروا **الشعراء** والخطباء والمترسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة والتابعين والفصحاء منهم ولا كان ذلك مما يهتم به العرب

وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني كالمجاهد الذي يزخرف السلاح وهو جبان ولهذا يوجد **الشاعر** كلما أمعن في المدح والهجو خرج في ذلك إلى الإفراط في الكذب يستعين يالتخيلات والتمثيلات وأيضا فأكثر الخطب التي ينقلها صاحب نهج البلاغة كذب على علي وعلي رضي الله عنه أجل وأعلى قدرا من أن يتكلم بذلك الكلام ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا انها مدح فلا هي صدق ولا هي مدح ومن قال إن كلام علي وغيره من البشر فوق كلام المخلوق فقد أخطأ وكلام النبي صلى الله عليه و سلم فوق كلامه وكلاهما مخلوق

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذي يقول هذا كلام بشير يشبه بوجه ما كلام البشر وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما في نفوس البشر وليس هذا من كلام المسلمين

---

(١) مفهوم الفناء عند ابن تيمية رحمه الله ٢٩٣/١

(٢) منهاج السنة النبوية ٤١٩/٢

وأيضا فالمعاني الصحيحة التي توجد في كلام علي موجودة في كلام غيره لكن صاحب نهج البلاغة وأمثاله أخذوا كثيرا من كلام الناس ". (١)

"نفسانية ممن يكذب مطلقا أثبتنا بعض ماغ ذكرناه من المعجزات بطرق متعددة كالأخبار المتواترة وكتطابق السنن على الإخبار بما يمتنع الاتفاق عليه من غير تواطؤ وغير ذلك

الوجه التاسع أن يقال تأثير النفوس مشروط بشعورها فإن النفس حية مريدة تفعل بإرادتها ففعلها مشروط بإرادتها والفعل الاختياري الإرادي مشروط بالشعور وخوارق العادات التي للأنبياء منها ما لا يكون النبي **شاعرا** به ومنها ما لا يكون مريدا له فلا يكون ذلك من فعل نفسه بل ومنها ما يكون قبل وجوده ووجود قدرته ومنها ما يكون بعد موته ومفارقة نفسه لهذا العالم ومن المعلوم أن ما يكون قبل أن تصير لنفسه قوة ونحو ذلك يمتنع أن يكون مضافا إلى قوته فإن المعدوم لا قوة له وذلك مثل قصة أصحاب الفيل التي أنزلها الله لما أتى بالفيل إلى مكة وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وكان أهل الفيل نصارى ودينهم كان خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك فإنهم كانوا مشركين ودين النصارى خير من دين المشركين الذين يعبدون الأوثان لكن كان ذلك كرامة للنبي صلى الله عليه وسلم المبعوث بحرمة البيت وكان عام الفيل عام مولده صلى الله عليه وسلم قبل مولده بنحو خمسين ليلة ولم تكن له قوة نفسانية يؤثر بها ولا شعور بما جرى ولا إرادة له في ذلك وكذلك ما حصل من الحوادث حين مولده صلى الله عليه وسلم وكذلك إخبار الكهان بأموره وما صارت الجن تخبرهم به من نبوته أمور خارجة عن قدرته وعلمه وإرادته وكذلك ما أخبر به أهل الكتاب وما وجد مكتوبا عند أهل." (٢)

"وقد تنازع الناس في القديم هل يجعل من أسماء الله؟ فذهب طائفة كابن حزم إلى أنه لا يسمى قديما بناء على أن الأسماء توقيفية ولم يثبت هذا الاسم عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمقصود أنه مستعمل في القرآن فيما تقدم على غيره كقوله تعالى: ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (سورة يس ٣٩) وقوله تعالى: ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ (سورة يوسف ٩٥) وقوله: ﴿وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم﴾ (سورة الأحقاف ١١) وقوله عن إبراهيم: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون﴾ (سورة **الشعراء** ٧٥ ٧٦) فالمحدث يقابل هذا القديم.

وكان القرآن ينزل شيئا فشيئا فما تقدم نزوله فهو متقدم على ما تأخر نزوله وما تأخر نزوله محدث بالنسبة إلى ذلك المتقدم ولهذا قال: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ (سورة الأنبياء ٢) فدل أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث.

والذكر كله مخلوق ومحدث مسبوق بالعدم عند القائلين بأن القرآن وغيره من كلام الله مخلوق أو هو كله مخلوق مسبوق بعدم وإن لم نقل مخلوق فلا يكون للتخصيص عندهم معنى لكن يبقى أن يقال فإذا كان موصوفا بالحدوث الأخص وهو تقدم

---

(١) منهاج السنة النبوية ٥٥/٨

(٢) الصفدية ابن تيمية ٢١٩/١

غيره عليه فالحدوث الأعم وهو كونه مسبوقا بالعدم لازم لهذا ولكن هذا لا يقتضي أن يكون نوع الذكر كذلك كما قد عرف.

وهكذا فهم كثير من الناس لكلام السلف والأئمة في القرآن." (١)

"الوجه التاسع: إنهم يقولون اللذة إدراك الملائم والألم إدراك المنافي وسواء كانت اللذة هي نفس الإدراك والشعور والمعرفة أم هي حاصلة بسبب الإدراك والشعور والمعرفة فعلى التقديرين إنما تكون اللذة في إدراك الملائم فلم يبق جنس الإدراك والعلم هو اللذة ولا موجبا للذة بل لا تكون اللذة إلا في إدراك الملائم فلا بد أن يكون المعروف المعلوم المشعور به المدرك ملائما في نفسه للعالم العارف **الشاعر** المدرك حتى يكون في إدراكه له لذة ومعلوم أن ما لاءم الشيء فهو محب له وما نافره فهو مبغض له فلا بد في اللذة والألم من ثلاثة أمور ملائمة ومنافرة بين المدرك والمدرك ومحبة أو بغضة من المدرك للمدرك ثم علم به وإدراك له ثم تحصل اللذة أو الألم بعد هذا وهذا مما يبين أن أكمل اللذات لذة النظر إلى الله كما دلت عليه نصوص الأنبياء.

ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا: ما هو ألم يبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئا أحب من النظر إليه وهي الزيادة".

فدل على أن اللذة الحاصلة بالنظر أعظم من كل لذة كانت قبل ذلك.." (٢)

"كما قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ (سورة **الشعراء** ٢٢١-٢٢٢) .

وإذا كان من أولياء الله المتقين المطيعين لله ورسوله هربت منه هذه الشياطين وكان أعوانه جند الله من الملائكة والجن المؤمنين وغيرهم وقد يطيع الشياطين لولى الله في بعض ما يأمر به من طاعة الله ورسوله تعظيما له وإكراما له لا طاعة لله ولرسوله فهذا يقع كثير ولكن لم تسخر الجن والشياطين تسخيرا مطلقا لغير سليمان عليه السلام وهذه الأمور مبسوطة في غير هذا الموضع.

والمقصود هنا أن هؤلاء الفلاسفة كثيرا ما يظنون الأمور الذهنية المتصورة في الذهن حقائق ثابتة في الخارج وهذا الأمر غالب عليهم كثير في كلامهم ومن تفطن له تبين له وجه غلطهم في كثير من مطالبهم مع أنهم لهم عقول ونظر وفضيلة بالنسبة إلى أتباعهم لا إلى أتباع الرسل.

وعلم القوم الذي كانوا يعرفونه هو الطب والحساب فلهم في الطبيعيات كلام كثير جيد والغالب عليه الجودة وكذلك في الحساب في الكم المنفصل والكم المتصل وفيهم خلاف كثير في علم الهيئة وحركات الكواكب ومقاديرها وكذلك في سائر علومهم هم أكثر الطوائف اختلافا.

---

(١) الصفدية ابن تيمية ٨٥/٢

(٢) الصفدية ابن تيمية ٢٧١/٢

وإذا قال أبو عبد الله الرازي: "اتفقت الفلاسفة" فإنما عنده ما ذكره ابن سينا في كتبه وكذلك كلام المشائين أتباع أرسطو وإلا فالفلاسفة أصناف مختلفة وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في كتابه." (١)

"وقال عن قوم موسى: ﴿يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ (سورة يونس ٨٤) .

وقال عن سحرة فرعون: ﴿قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون﴾ (سورة **الشعراء** ٤٧-٤٨) إلى قوله: ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين﴾ (سورة **الشعراء** ٥١) وقال في الآية الأخرى: ﴿ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين﴾ (سورة الأعراف ١٢٦) .

وقال عن يوسف الصديق: ﴿توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ (سورة يوسف ١٠١) .

وقال عن بلقيس: ﴿رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ (سورة النمل ٤٤) .

وقال عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (سورة المائدة ٤٤) .

وقال عن الحواريين: ﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ إلى قوله: ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ (سورة المائدة ١١١-١١٢) .

فهذه الرسل وأممهم من نوح إلى الحواريين كلهم على الإسلام." (٢)

"قبل أن يكون، ويعلمه موجودا كان قد كان، فيعلم في وقت واحد معدوما موجودا وإن لم يكن، وهذا المحال.

وذكر كلاما في هذا في الإرادة.

إلى أن قال: وكذلك قوله تعالى: ﴿إنا معكم مستمعون﴾ **[الشعراء:**١٥] ليس معناه أن يحدث له سمعا، ولا تكلف لسمع ما كان من قولهم وقد ذهب قوم من." (٣)

"وتارة **شاعرا**، وتارة كاهنا، وتارة مفتريا.

قالوا: فهذه علامة الإرث الصحيح والمتابعة التامة، فإن السنة هي ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتقادا واقتصادا وقولا وعملا؛." (٤)

"الإيمان مرادف للفظ التصديق؟ وهب أن المعنى يصح إذا استعمل في هذا الموضع، فلم قلت: إنه يوجب الترادف؟ ولو قلت: ما أنت بمسلم لنا، ما أنت بمؤمن لنا؛ صح المعنى، لكن لم قلت: إن هذا هو المراد بلفظ مؤمن؟ وإذا قال: ﴿وأقيموا الصلاة﴾ (١) ؟ ولو قال القائل: أتموا الصلاة، ولازموا الصلاة، التزموا الصلاة، افعلوا الصلاة؛ كان المعنى صحيحا،

---

(١) الصفدية ابن تيمية ٢/٢٩٣

(٢) الصفدية ابن تيمية ٢/٣٠٣

(٣) الفتوى الحموية الكبرى ابن تيمية ص/٣٩٠

(٤) الفتوى الحموية الكبرى ابن تيمية ص/٥٣٧

لكن لا يدل هذا على معنى: أقيموا؛ فكون اللفظ يرادف اللفظ يراد دلالته على ذلك.

ثم يقال: ليس هو مرادفا له، وذلك من وجوه:

أحدها: أن يقال للمخبر إذا صدقته: صدقه، ولا يقال: آمنه وآمن به؛ بل يقال: آمن له، كما قال: ﴿فآمن له لوط﴾ (٢) ، وقال: ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ (٣) ، قال فرعون: ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم﴾ (٤) ، وقالوا لنوح: ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ (٥) ، وقال تعالى: ﴿قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ (٦) ، ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ (٧) وقال: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ (٨) ...

الثاني: أنه ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنى، فإن كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، فمن قال:

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) العنكبوت: ٢٦.

(٣) يونس: ٨٣.

(٤) الأعراف: ١٢٣.

(٥) **الشعراء**: ١١١.

(٦) التوبة: ٦١.

(٧) المؤمنون: ٤٧.

(٨) الدخان: ٢١.." [1]

"قال ابن قتيبة حجراته جوانبه يريد أن حوافر الخيل قد بلغت الأكم ووطئتها حتى خشعت وانخفضت

قال ابن عطية في قوله يتفيأ ظلاله عن اليمين والشمائل [سورة النحل ٤٨] وقالت فرقة منهم الطبري عبر عن الخضوع والطاعة وميلان الظلال ودورانها بالسجود كما يقال للمشير برأسه نحو الأرض على وجه الخضوع ساجد ومنه قول **الشاعر**

وكلتاهما خرت وأسجد رأسها ... كما سجدت نصرانة لم تحنف

فصل

وإذا كان كذلك فالله سبحانه ذكر في الرعد قوله ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها [سورة الرعد ١٥] فعم في هذه الآية ولم يستثن وقسم السجود إلى طوع وكره وقال في الحج ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب [سورة الحج ١٨]

---

(١) المنتخب من كتب شيخ الإسلام علوي السقاف ص/٦٢

وفي هذا الكثير قولان أحدهما أنه لم يسجد فلهذا حق عليه العذاب كما تقدم عن طاووس وهو قول الفراء وغيره والثاني أنه سجد وحق عليه العذاب فإنه ليس هو السجود المأمور به." (١)

"بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

أما بعد فقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة شعيب النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضع من كتابه وإرساله إلى أهل مدين وقال في موضع آخر كذب أصحاب الأيكة المرسلين [سورة **الشعراء** ١٧٦] فأكثر الناس يقولون إنهم أهل مدين ومن الناس من يجعلها قصتين

شيخ مدين لم يكن شعيبا

وذكر في قصة موسى أنه ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ما خطبكما الآية [سورة القصص ٢٣] إلى آخر القصة فموسى عليه السلام قضى أكمل الأجلين ولم يذكر عن هذا الشيخ أنه كان شعيبا ولا أنه كان نبيا ولا عند أهل الكتابين أنه كان نبيا ولا نقل عن أحد من الصحابة أن هذا الشيخ الذي صاهر موسى كان شعيبا النبي لا عن ابن عباس ولا غيره بل المنقول عن الصحابة أنه لم يكن هو شعيب

قال سنيد بن داود شيخ البخاري في تفسيره بإسناده عن ابن عباس." (٢)

"بعض وحقيقته القوة ومنه قول **الشاعر**

من كل مجتنب شديد أسره ... سلس القياد تخاله مختالا

ولا يكون ذلك إلا فيما له شد ورباط ومنه الإسار وهو الحبل الذي يشد به الأسير

ثم أخبر سبحانه أنه قادر على أن يبدل أمثالهم بعد موتهم وأنه إذا شاء ذلك فعله وإذا للمحقق فهذا التبديل واقع لا محالة فهو الإعادة التي هي مثل البداءة

هذا هو معنى الآية ومن قال غير ذلك لم يصب معناها ولا توحشك لفظة المثل فإن المعاد مثل للمبدوء وإن كان هو بعينه فهو معاد أو هو مثله من جهة المغايدة بين كونه مبدءا ومعادا وهذا كالدار إذا تهدمت وأعيدت بعينها فهي الأولى وكذلك الصلاة المعادة هي الأولى وهي مثلها." (٣)

"يضع شيئا إلا في موضعه الذي يناسبه وتقتضيه الحكمة والعدل ولا يفرق بين متماثلين ولا يسوي بين مختلفين ولا يعاقب إلا من يتسحق العقوبة فيضعها موضعها لما في ذلك من الحكمة والعدل

وأما أهل البر والتقوى فلا يعاقبهم ألبتة قال تعالى أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون [سورة القلم ٣٥ - ٣٦] وقال تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار [سورة ص ٢٨]

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٣٩/١

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٦١/١

(٣) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٧٦/١

وقال تعالى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية [سورة الجاثية ٢١]

قال أبو بكر بن الأنباري الظلم وضع الشيء في غير موضعه يقال ظلم الرجل سقاءه إذا سقا منه قبل أن يخرج زبده قال **الشاعر**

وصاحب صدق لم تنلني شكاته ... ظلمت وفي ظلمي له عامدا أجر

أراد بالصاحب وطب اللبن وظلمه إياه أن يسقيه قبل أن يخرج زبده والعرب تقول هو أظلم من حية لأنها تأتي الحفر الذي لم تحفره فتسكنه ويقال قد ظلم الماء الوادي إذا وصل منه إلى مكان لم يكن يصل إليه فيما مضى ذكر ذلك أبو الفرج وكذلك قال البغوي أصل الظلم وضع." (١)

"فإنما يسرناه بلسانك [سورة الدخان ٥٧] كما يقول المرسل قد قلت لكم على لسان رسولي فلان كذا وكذا

وهذا كما أن القول يضاف إلى الرسول لأنه بلغه وأداه فيضاف إلى جبريل تارة وإلى محمد صلى الله عليه وسلم أخرى كما قال في آية إنه لقول رسول كريم وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون [سورة المائدة ٤٠ - ٤٢] فهذا محمد وقال في الآية الأخرى إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين [سورة التكوير ١٩ - ٢١] فهذا جبريل

وأما جمهور العلماء من أهل الفقه والحديث والتصوف والكلام فطردوا الدليل وأثبتوا لله صفات فعلية تقوم بذاته وهذا هو المعلوم الذي دل عليه العقل واللغة والشرع

الناس في الصفات ثلاث مراتب

فالناس ثلاث مراتب منهم من نفى قيام الصفات والأفعال به كالمعتزلة ومنهم من أثبت قيام الصفات به دون الأفعال كالكلابية ومنهم من أقر بقيام الصفات والأفعال وهم جمهور الأمة كما ذكرته الحنفية في كتبهم وكما ذكره." (٢)

"فلما تاب هذا الشيخ وصار يصلي ويصوم ويجتنب المحارم ذهب الكلب الأسود وذهب التغيير فلا يأتي بلاذن ولا غيره.

وشيخ آخر كان له شياطين يرسلهم يصرعون بعض الناس، فيأتي أهل ذلك المصروع إلى الشيخ يطلبون منه إبراءه، فيرسل إلى أتباعه فيفارقون ذلك المصروع، ويعطون ذلك الشيخ دراهم كثيرة. وكان أحيانا تأتيه الجن بدراهم وطعام تسرقه من الناس، حتى أن بعض الناس كان له تين في كوارة فيطلب الشيخ من شياطينه تينا فيحضرونه له، فيطلب أصحاب الكوارة التين فوجدوه قد ذهب.

وآخر كان مشتغلا بالعلم والقراءة فجاءته الشياطين أغوته وقالوا له: نحن نسقط عنك الصلاة ونحضر لك ما تريد. فكانوا يأتونه بالحلوى أو الفاكهة، حتى حضر عند بعض الشيوخ العارفين بالسنة فاستتابه، وأعطى أهل الحلاوة ثمن حلاوتهم التي أكلها ذلك المفتون بالشيطان.

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ١٢٤/١

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ١٥٩/١

فكل من خرج عن الكتاب والسنة وكان له حال من مكاشفة أو تأثير فإنه صاحب حال نفساني أو شيطاني، وإن لم يكن له حال بل هو يتشبه بأصحاب الأحوال فهو صاحب حال بهتاني. وعامة أصحاب الأحوال الشيطانية يجمعون بين الحال الشيطاني والحال البهتاني، كما قال تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم﴾ [سورة الشعراء: ٢٢١]، ٢٢٢] .

والحلاج كان من أئمة هؤلاء، أهل الحال الشيطاني والحال البهتاني، وهؤلاء طوائف كثيرة. فأئمة هؤلاء هم شيوخ المشركين الذين يعبدون الأصنام، مثل الكهان والسحرة الذين كانوا للعرب المشركين، ومثل الكهان والسحرة الذين هم بأرض الهند والترك وغيرهم. ومن هؤلاء من إذا مات لهم ميت يعتقدون أنه يجيء بعد الموت يكلمهم ويقضي ديونه ويرد ودائعه ويوصيهم بوصايا، فإنهم." (١)

"بالذم والتقبيح واللعن، ولم يذكره بخير قط.

وهؤلاء الملاحدة المنافقون يزعمون أنه مات طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الخبث، بل يزعمون أن السحرة صدقوه في قوله: ما علمت لكم من إله غيري، وأنه صح قوله: أنا ربكم الأعلى، وأنه كان عين الحق.

وقد أخبر سبحانه وتعالى عن جحوده لرب العالمين. قال لما قال له موسى عليه السلام: ﴿إني رسول من رب العالمين * حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾ [سورة الأعراف: ١٠٤]- ١٠٥] ، ﴿قال فرعون وما رب العالمين * قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين * قال لمن حوله ألا تستمعون * قال ربكم ورب آبائكم الأولين * قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون * قال رب المشرق والمغرب إن كنتم تعقلون * قال لئن اتخذت إلها غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [سورة الشعراء: ٢٣]- ٢٩] ، فتوعد موسى بالسجن إن اتخذ إلها غيره.

وهؤلاء مع تنظيمهم لفرعون يشاركون في حقيقة كفره، وإن كانوا مفارقين له من جهة أخرى، فإن عندهم: ما ثم موجود غير الله أصلا، ولا يمكن أحد أن يتخذ إلها غيره، لأنه أي شيء عبد العابد من الأوثان والأصنام والشياطين، فليست عندهم غير الله أصلا. وهل يقال هي الله؟ لهم في ذلك قولان.." (٢)

"وقال تعالى في السورة الأخرى وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين [سورة الأعراف ٢٢ - ٢٣]

وقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى [سورة طه ١٢١ - ١٢٢]

وقال تعالى عن نوح أنه قال لقومه استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا الآية [سورة نوح ١٠ - ١١]

وقال عن نوح رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين [سورة هود ٤٧]

وعن هود ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين [سورة

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ١٩٤/١

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٢١٢/١

هود ٥٢] وعن صالح فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب [سورة هود ٦١] وكذلك قال شعيب واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود [سورة هود ٩٠] وقال إبراهيم عليه السلام ربنا اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب [سورة إبراهيم ٤١] وقال والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين [سورة **الشعراء** ٨٢] وقال وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت." (١)

"الهوى وإن لم يعتقد أنه هوى بخلاف الضال فإنه يحسب أنه يحسن صنعا ولهذا كان إبليس أول الغاوين كما قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين [سورة الأعراف ١٦ - ١٧] وقال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين [سورة الحجر ٣٩ - ٤٠]

وقال تعالى ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون قال الذين حق عليهم القول ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون [سورة القصص ٦٢ - ٦٣]

وقد قال تعالى فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعون [سورة **الشعراء** ٩٤ - ٩٥]

وإنما في الحديث ما يخاف على هذه الأمة من الغي وهو شهوات الغي في البطون والفروج فأما الغي الذي هو الإستكبار عن ابتاع الحق فذاك أصل الكفر فصاحبه ليس من هذه الأمة كإبليس وفرعون وغيرها وأما غي شهوات البطون والفروج فذاك يكون لأهل الإيمان ثم يتوبون كما قال وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى [سورة طه ١٢١ - ١٢٢]

وفي السنن والمسند من حديث ليث بن سعد عن يزيد بن الهاد عن عمرو عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول." (٢)

"الغالية في علي ويزعم أن الشيخ يخلق ويرزق ويدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار ويعبده ويدعوه كما يعبد الله ويقول كل رزق لا يرزقنيه الشيخ فلان فإني لا أريده ويذبح الذبائح باسمه ويصلي ويسجد إلى جهة قبره ويستغيث به في الحاجات كما يستغاث بالله تعالى

فأما ضلال هذه الغالية فشرك واضح قد بيناه في غير هذا الموضع فإنه لا تجوز عبادة أحد دون الله ولا التوكل عليه والإستعانة به ودعاؤه ومسألته كما يدعى الله ويسأل الله

قال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا [سورة الإسراء ٥٦ - ٥٧] وقال تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له [سورة سبأ ٢٢ - ٢٣] وقال تعالى من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه [سورة

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٢٢١/١

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ٢٣٥/١

البقرة ٢٥٥] وقال تعالى أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والأرض [سورة الزمر ٤٣ - ٤٤] وقال تعالى فلا تدع مع الله إلها آخر فتكون من المعذبين [سورة الشعراء ٢١٣] وقال تعالى لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار [سورة المائدة ٧٢]." (١)

"وقوله والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين [سورة الشعراء ٨٢]

وقوله سبحانه فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات [سورة محمد ١٩]

وقال تعالى وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين [سورة الأنبياء ٨٧ - ٨٨]

وقال تعالى واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق إلى قوله ظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب إلى قوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب الآية [سورة ص ١٧ - ٣٥]

اليهود فرطوا في حق الأنبياء

ولما كان اليهود ضد النصارى حيث قتلوا الأنبياء وكذبوهم جحدوا نبوة داود وهم لنبوة سليمان أجحد وزعموا أنهما كانا حكيمين وأن داود كان مسيحا وقد نزه الله سليمان مما تلته الشياطين على ملكه مما اتبعه السحرة من الصابئة والمشركين ومن اتبعهم من أهل الكتاب والمنتسبين إلى هذه الملة والسامرة أعظم جحودا لا يقرون إلا بنبوه موسى خاصة ويوشع بعده." (٢)

"المحبة والإرادة أصل كل دين

دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ويجعلون له عدلا وشريكا علم أن المحبة والإرادة أصل كل دين سواء كان دينا صالحا أو دينا فاسدا فإن الدين هو من الأعمال الباطنة والظاهرة والمحبة والإرادة أصل ذلك كله والدين هو الطاعة والعبادة والخلق فهو الطاعة الدائمة اللازمة التي قد

معاني كلمة الدين

صارت عادة وخلقا بخلاف الطاعة مرة واحدة ولهذا فسر الدين بالعادة والخلق ويفسر الخلق بالدين أيضا كما في قوله تعالى وإنك لعلى خلق عظيم قال ابن عباس على دين عظيم وذكره عنه سفيان بن عيينة وأخذه الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة وبذلك فسراه

وكذلك يفسر بالعادة كما قال الشاعر

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ١/٢٦٥

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية - رشاد سالم ابن تيمية ١/٢٧٠

أهذا دينه أبدا وديني

ومنه الديدن يقال هذا ديدنه أي عادته اللازمة فإن ديدن من دان بمنزلة صلصل من صل وكبكب من كب هو تضعيف له والمضعف قد يكون مشددا وقد يكون حرف لين وهم يعاقبون في كلامهم." [1]

"من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني برئ منكم) (١) . .... (٢) .

فصل

ولفظ الغوث والقطب في حق البشر لم ينطق به كتاب ولا سنة، ولا تكلم به أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان في هذا المعنى، بل غياث المستغيثين على الإطلاق هو الله تعالى، كما قال: (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) (٣) .

ولم يجعل الله أحدا من الخلق غوثا يغيث الخلق في كل ما يستغيثونه فيه، لا ملك ولا نبي ولا غيرهما. بل في الصحيحين (٤) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "لا ألفين أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئا. يا عباس عم قد أبلغتك".

وهذا كقوله (٥) : "يا فاطمة بنت محمد، لا أغني عنك من الله شيئا؛ يا عباس عم رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا؛ يا صفيه عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئا، سلوني ما شئتم". وهذا من تأويل قوله: (وأنذر عشيرتك الأقربين (٢١٤)) (٦) .

---

(١) سورة الأنفال: ٤٨.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) سورة الأنفال: ٩.

(٤) البخاري (٣٠٧٣) ومسلم (١٨٣١) عن أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (٢٠٥) وأحمد (٦/١٨٧) والترمذي (٣١٨٤) والنسائي (٦/٢٥٠) عن عائشة.

(٦) سورة **الشعراء**: ٢١٤.." [2]

"وليس مما أوجب الله ورسوله ولا أحبه الله ورسوله، فهؤلاء ضالون مخطئون طريق الله.

وهم في الضلال درجات: فمنهم كافر، ومنهم فاسق، ومنهم مذنب، ومنهم مؤمن مخطىء أخطأ في اجتهاده. والخوارق التي تحصل بمثل هذه الأعمال التي ليست واجبة ولا مستحبة، بل هي من الأحوال الشيطانية، لا مما يكرم الله به أولياءه. كالخوارق التي تحصل بالشرك والكواكب وعباداتها، وعبادة المسيح والعزير وغيرهما من الأنبياء، وعبادة الشيوخ الأحياء والأموات، وعبادة الأصنام، فإن هؤلاء قد تجعل لهم أرواح تخاطب ببعض الأمور الغائبة، ولكن لابد أن يكذبوا مع ذلك، كما قال تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢)) (١) . وقد تقتل بعض

---

(١) جامع الرسائل لابن تيمية – رشاد سالم ابن تيمية ٢١٨/٢

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٧٧/١

الأشخاص أو تمرضه، وقد تأتيه بما تسترقه من الناس، إما دراهم وإما طعام وإما شراب أو لباس أو غير ذلك. وهذا كثير جدا.

فمن كذب بمثل هذه الخوارق فهو جاهل بالموجودات، ومن ظن أن هذه كرامات أولياء الله المتقين فهو كافر بدين رب الأرض والسماوات، بل هذه من جنس أحوال الكهنة والسحرة، مثل مكاشفة عبد الله بن صياد للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان قد ظنه بعض الصحابة الدجال، ولم يكن هو الدجال، وتوقف فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى تبين له أنه ليس هو الدجال، لكن كان له حال شيطاني، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "قد خبأت لك خبيئة" (٢) ، فقال: الدخ الدخ، وكان قد خبأ له سورة الدخان،

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢١-٢٢٢.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٢٤) وأحمد (٤٥٧،٣٨٠/١) عن ابن مسعود.." [1]

"يشرب لنقصه، كالجامدات وكالحيوان المريض، فهذا ليس ممدوحا بذلك، فلو قدر مريض موسر يطعم الناس، وهو في نفسه لا يطعم لمرضه، لم يمدح بأنه يطعم ولا يطعم، والناس إذا لم يطعموه لكونه لا يطعم لمرضه ونقصه لم يكن ممدوحا بأنهم لا يطعمونه، بخلاف ما إذا لم يطعم لغناه، فإنه يمدح بأنه يطعم ولا يطعم، وإن كان هو في نفسه يأكل ويشرب من ماله، مع أن المريض لابد أن يطعم، وأما ما لا يطعم بمال لنقصه كالجامدات، فالأرض يخرج منها صنوف الثمرات، وهي لا تأكل لنقصها، فقد يقال: إنها تطعم ولا تطعم أي لا تأكل لنقصها، لكن هي محتاجة إلى السقي والشرب، وهذا حاجة منها إلى ما يقيها ويغذيها.

ولهذا قال تعالى: (وهو يطعم ولا يطعم) ، فوصفه بالإثبات المطلق والنفي العام، وصفه بأنه يطعم، وهذا مطلق يصلح أن يدخل فيه كل إطعام، كما إذا قيل: يخلق ويرزق ويعطي ويمنع، كما في الحديث الصحيح الإلهي (١) : "يا عبادي! كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي! كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم". وقال: (وما بكم من نعمة فمن الله) (٢) ، وقال: (هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض) (٣) ، وقال الخليل: (الذي خلقني فهو يهدين (٧٨) والذي هو يطعمني ويسقين (٧٩) وإذا مرضت فهو يشفين (٨٠)) (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (٤٩٠) ومسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر.

(٢) سورة النحل: ٥٣.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٩٩/١

(٣) سورة فاطر: ٣.

(٤) سورة الشعراء: ٧٨-٨٠.." [(١)]

"القلب حبا يجعل ذلك شرابا للقلب، فحب الرب تعالى أن يكون شرابا يشربه قلوب المؤمنين أولى وأحرى.

قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله) (١) . ووصف الشعراء وغيرهم أن القلوب تشرب المحبة، وضربهم المثل في ذلك بالشراب الطاهر، وأن شرب المحبة أعلى الشرابين كثير جدا. وهو سبحانه الذي يطعم عباده المؤمنين، ويسقيهم شراب معرفته ومحبته والإيمان به، وهو غني عن جميع خلقه في معرفته ومحبته وإيمانه - إذ كان من أسمائه "المؤمن" -، وفي توحيده وشهادته وسائر شئونه، سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأهل الشرك الذين يعبدون غير الله ومن ضاهاهم من أهل البدع، الذين اتخذوا من دون الله أوثانا يحبونهم كحب الله، لهم شراب من محبتهم وذوق ووجد، لكن ذلك من عبادة الشيطان لا من عبادة الرحمن، فلهذا وقعت باطلا. فإن البدن كما يتغذى بالطيب والخبيث، كذلك القلوب تتغذى بالكلم الطيب والعمل الصالح، وتتغذى بالكلم الخبيث والعمل الفاسد، ولها صحة ومرض، وإذا مرضت اشتهت ما يضرها وكرهت ما ينفعها.

وقد ضرب الله مثل الإيمان الذي هو كلمة طيبة بشجرة طيبة، ومثل الشرك الذي هو كلمة خبيثة بشجرة خبيثة، فهذا أصله كلمة طيبة في قلبه وهي كلمة التوحيد، وهذا أصله كلمة خبيثة في قلبه وهي كلمة الشرك؛ فهذا يتغذى بهذه الكلمة الطيبة، وهذا يتغذى بهذه

---

(١) سورة البقرة: ١٦٥.." [(٢)]

"(قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله) (١) ، وقال: (أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل) (٢) ، وقال: (أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط) إلى قوله: (ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) (٣) .

فالقرآن قد أخبر الله فيه بأمور، وإخباره بها شهادته بها، وكفى بالله شهيدا، فنفس إخباره وشهادته بما شهد به من أمر الربوبية والرسالة والثواب والعقاب وأحوال أوليائه وأعدائه كاف، وهو الطريق السمعية. وقد قال: (سنريهم آياتنا في الأفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) (٤) . فهذه الطريق البصرية التي قد تسمى العقل، وهو أن يرد في أنفسهم وفي الآفاق ما يدلهم على مثل ما دل عليه القرآن، فيروا حال المؤمنين بمحمد وحال الكافرين به كما أخبروا به عن المتقدمين، ويروا أيضا حالهم إذا آمنوا أو كفروا، ويروا أيضا الدلائل الدالة على وحدانية الخالق وصفاته التي شهد بها الرب.

فالكلام في شيئين: في أن القرآن منزل من عند الله، وهذا قد شهد به الله بما أتى به، وسيريهم آيات يعاينونها تبين أنه منزل من عند الله. والثاني: الكلام فيما أخبر به القرآن أيضا كما تقدم، وأن الحق يتناول نسبته إلى الله، ويتناول أنه صدق في

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١١٩/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٣٣/١

نفسه، والله شهيد بالأمرين، وقد أرى آياته على الأمرين.

---

(١) سورة الأحقاف: ١٠.

(٢) سورة الشعراء: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة: ١٤٠.

(٤) سورة فصلت: ٥٣.." [1]

"كما قال بعض الشعراء (١) يخاطب محبوبا له ناله ببعض ما يكره:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة لقد سرني أني خطرت ببالكا

النوع الرابع (٢) : ما يحصل له بفعل الناس في ماله أو عرضه أو نفسه، فهذا النوع يصعب الصبر عليه جدا، لأن النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا النوع إلا الأنبياء والصديقون.

وكان نبينا - صلى الله عليه وسلم - إذا أوذي يقول: "يرحم الله موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر" (٣) . وأخبر عن نبي من الأنبياء أنه ضربه قومه، فجعل يقول: "اللهم اغفر لقومي، فإنهم لا يعلمون" (٤) . وقد روي عنه - صلى الله عليه وسلم - أنه جرى له مثل هذا مع قومه، فجعل يقول مثل ذلك (٥) .

فجمع في هذا ثلاثة أمور: العفو عنهم، والاستغفار لهم، والاعتذار عنهم بأنهم لا يعلمون.

وهذا النوع من الصبر عاقبته النصر والهدى والسرور والأمن، والقوة في ذات الله، وزيادة محبة الله ومحبة الناس له، وزيادة العلم.

---

(١) هو ابن الدمينة، والبيت من قصيدة مشهورة له بعضها في حماسة أبي تمام (٢/٦٢-٦٣) ، وتمامها في ديوانه (ص١٣-١٨) ، وهناك التخريج. وقد وجدت القصيدة في ٢١ بيتا في "الفصوص" لصاعد (١/٦٧-٧٠) . وفي جميع المصادر قافيتها كاف مكسورة.

(٢) كذا في الأصل، والأولى أن يكون "الثاني" من نوعي المصائب.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٥٠،٣٤٠٥ ومواضع أخرى) ومسلم (١٠٦٢) عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٧٧،٦٩٢٩) ومسلم (١٧٩٢) عن ابن مسعود.

(٥) أخرجه الطبراني عن سهل بن سعد، كما في "مجمع الزوائد" (٦/١١٧) . قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.." [2]

"أتأذنون لصب في زيارتكم فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر الشوق إن طال الجلوس به عف الضمير ولكن فاسق النظر

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٤٧

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١/١٦٧

وقيل لبعض العشاق: ما كنت تصنع لو ظفرت بمن تهوى؟ قال:

كنت أمنع طرفي من وجهه، وأروح قلبي بذكره وحديثه، أستر منه مالا يحب كشفه، ولا أصير بفتح القفل إلى ما ينقض عهده. وأنشد (١) :

أخلو به فأعف عنه كأنني خوف الديانة لست من عشاقه

كالماء في يد صائم يلتذه ظمأ فيصبر عن لذيذ مذاقه

وانقسموا قسمين:

قسم قنعوا بالنظرة البعيدة ولو في مدة مديدة، كما قال شاعرهم:

ليس في العاشقين أقنع مني أنا أرضى بنظرة من بعيد

وقال الآخر:

لو مر في خاطري تقبيل وجنته لسيلت فكري عن عارضيه دما

وقال آخر:

وأحفظه عن ناظري ومقلتي مخافة أن العين تجرح خده

واستمروا على هذه الحالة، فمنهم من يموت وهو كذلك، لا يظهر سره لأحد، حتى محبوبه لا يدري به. روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "من عشق فعف فكتمه فمات منه فهو شهيد" (٢) . وهذا مقام

---

(١) البيتان في "الجواب الكافي" (ص١٩٥) .

(٢) أخرجه ابن حبان في "المجروحين" (٣٤٩/١) والخطيب في "تاريخ بغداد" (٥/٦،٢٦٢،١٥٦/٥٠-١١،٥١/١٣،٢٩٧/١٨٤) وابن الجوزي في "ذم =." [1]

"يحضر له طعاما أو شرابا في الهواء، ويكون ذلك مما قد أخذه من بعض الأماكن، وكثير منه يكون مسروقا قد سرقه وأخذه الشيطان من مال من خان شريكه، أو من مال من لم يذكر اسم الله عليه.

وهؤلاء من جنس الكهان، قد يوحون إلى أوليائهم من الإنس بعض ما يكاشفون به، ولابد أن يكذبوا في بعض ما يخبرون به، لكن ما كان مستورا عنهم قد ذكر صاحبه عليه اسم الله لا يرونه ولا يخبرون به. وهذا من الفروق بين إخبار هؤلاء وبين إخبار المسيح بما يأكلون ويدخرون في بيوتهم، فإن المسيح يخبر بالبواطن التي تكون محجوبة عن الجن، كما يحجب عنهم الأشياء بذكر اسم الله تعالى. فالآكل متى ذكر اسم الله لم يشركه الشيطان في طعامه، وإن سمى الله عند دخول المنزل لم يشركه في دخول البيت، وإن لم يسم الله لا في هذا ولا هذا أدرك المبيت والطعام، كما بين النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك في الحديث المعروف (١) .

والمسيح يخبر بذلك، وأيضا فخبر المسيح صدق كله، ليس في شيء منه كذب، وهؤلاء الذين يخبرون عن إعلام الشياطين

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٨٣/١

لهم لابد أن يكذبوا. قال تعالى: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢) يلقون السمع وأكثرهم كاذبون (٢٢٣)) (٢) . والكلام على جنس هذا وأقسامه مذكور في مواضع.

والمقصود أن مرور هؤلاء على المواقيت مع إرادة الوقوف بعرفة ليس مشروعا بالإجماع، لا واجبا ولا مستحبا، بل هو منهي عنه لا

---

(١) أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (١٠٩٦) ومسلم (٢٠١٨) عن جابر.

(٢) سورة **الشعراء**: ٢٢١-٢٢٣.." [(١)]

"وكذلك لفظ الحرية الذي يقولون: إنه صريح في العتق، من نوى به أنه عفيف غير فاجر، لم يقع به العتق، بل يقبل منه، لاسيما عند القرينة، كما لو قيل له: ما حال مملوكك هذا؟ وكيف دينه وخلقه؟

فقال: هو حر. فهذه القرينة تبين أنه أراد أنه عفيف، لم يرد إعتاقه، فلا يعتق، وإن قيل: هو صريح وقد وجد نفاذا.

وكذلك لفظ النكاح والتزويج، هما صريح في العقد، ثم إذا قال: أنكحت أو زوجتك فلانة، ومع هذا فهو محتمل للخبر عن عقد ماض. وكذلك سائر صيغ العقود، إذا نوى ذلك كان محتملا، وإن كانت القرينة تدل على ذلك قبل منه.

وأيضا فلو قيل: زوجتك بهذه، فهو محتمل قرنتك بها، كما في قوله: (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) (١) . وهذا يراد باللفظ مع ما يدل على ذلك، كما لو جمع بين الصغار بين كل صغير وصغيرة في موضع قيل: زوج هذه بهذا وهذه بهذا، أي اقرنها به.

وقد يقال: أنكحتك فلانة، بمعنى مكنتك من سبيها وأخذها، كما قال **الشاعر**:

ومن أيم قد أنكحتها رماحنا ... وأخرى على عم وخال (٢)

وكذلك لفظ الوقف، يراد به تحبيس الأصل، وقد يقال: وقفت هذا، أي وقفته في السوق لأبيعه. وكذلك ألفاظ الإيلاء، إذا قال: والله لا وطئت، فقد يراد: لا وطئتك برجلي، ولو أراد ذلك لم يكن موليا في الباطن، وفي قبوله في الحكم نزاع.

---

(١) سورة الشورى: ٥٠.

(٢) كذا في الأصل، والشطر الثاني ناقص. ولم أجد البيت في المصادر.." [(٢)]

"وقال أبو علي الفارسي قولا ثالثا، قال: ليس الأمر كما ادعاه من قال بتكرير اللفظ، لأن العود قد يكون إلى شيء لم يكن الإنسان عليه، وقيل: سميت الآخرة معادا، ولم يكن فيها أحد ثم عاد إليها.

وقال الهذلي (١) :

وعاد الفتى كالطفل ليس بقائل سوى الحق شيئا واستراح العواذل

وهذا أيضا ضعيف من وجوه:

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢١٧/١

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٣٩١/١

أحدها: أن لفظ العود لابد أن يتضمن رجوعا عن شيء أو إلى شيء، فقوله "وعاد الفتى كالطفل"، وقوله:

.... فعادا بعد أبوالا (٢)

وفي الحديث (٣) : "تعاد روحها" هو رجوع عن حال كانوا عليها إلى حال أخرى. فأما الأمر المبتدأ إذا فعله الإنسان فلا يقال: إنه عاد إليه.

وأيضا فما ذكروه إنما هو في لفظ العود مجردا، فماذا قيل: عاد إلى كذا، ورجع إليه، وعاد فيه، كما قال: (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) (٤) ، وقال أصحاب الكهف: (إنهم إن يظهروا عليكم

---

(١) أبو خراش الهذلي كما في "شرح أشعار الهذليين" (١٢٢٣/٣) . وروايته؟ "كالكهل" و"سوى العدل".

(٢) تمام البيت:

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وهو لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي من قصيدة له، ويروى أيضا للنابغة الجعدي.

انظر "سمط اللآلي" (٢٨١/١) و"طبقات فحول الشعراء" (٢٦٠/١،٥٨-٢٦٢) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤، ٢٨٨) وأبو داود (٤٧٥٣) عن البراء بن عازب ضمن حديث طويل.

(٤) سورة المجادلة: ٨.." [1]

"هذه الأمور وغيرها كانت تحتاج إلى البسط والتفصيل والحجاج والمناقشة، فنشط لها المؤلف، وألف هذا الكتاب الذي أتى فيه بنظرات جديدة حول الموضوع، وتناوله بطريقة لم يسبق إليها.

عليه السلام منهج المؤلف فيه

للمؤلف منهج متميز لا يحيد عنه في جميع مؤلفاته، فهو يعتمد على الكتاب والسنة وأقوال السلف في الكلام على أي مسألة، سواء كانت في العقيدة أو الأصول أو المصطلح أو التفسير أو الفقه أو غيرها، وينقل المذاهب والآراء من المصادر المعتمدة لدى أصحابها، ولا ينسب إليهم إلا ما يقولون به ملتزما الأمانة العلمية في ذلك. ثم يعلق على كلامهم ويناقشهم بالحجج والبراهين، ويبين وجه خطئهم، ومدى قربهم أو بعدهم من منهج السلف. ويحرر القول في المسألة تحريرا بالغا، ويرد على جميع الشبه والاعتراضات التي قد ينخدع بها العامة والخاصة، ويستطرد أحيانا إلى موضوعات أخرى يأتي فيها بفوائد علمية جليلة. كل ذلك بأسلوب سهل ميسر يجري كالماء سلاسة وعذوبة، يكاد يفهمه الجميع: المتعلم منهم وغير المتعلم. وقد انتقد المؤلف الأسجاع والزخارف اللفظية التي يلجأ إليها عامة الكتاب والأدباء، فقال: "وأما تكلف الأسجاع والأوزان والجناس والتطبيق ونحو ذلك مما تكلفه متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ فهذا لم يكن من دأب خطباء الصحابة

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٤٠٢/١

والتابعين والفصحاء منهم، ولا كان ذلك مما يهتم به العرب، وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعاني،." (١)

"أما ورقة الأنساب والتواريخ ففيها غلط في مواضع متعددة، مثل ذكره أن النبي – صلى الله عليه وسلم – توفي في صفر، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن عمرو بن العلاء بن هاشم، وأن جعفر الصادق توفي في خلافة الرشيد، وغير ذلك.

فإنه لا خلاف بين أهل العلم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – توفي في شهر ربيع الأول شهر مولده وشهر هجرته، وأنه توفي يوم الاثنين، وفيه ولد وفيه أنزل عليه. وجده هاشم بن عبد مناف، وإنما كان هاشم يسمى عمرا، ويقال له عمرو العلا، كما قال الشاعر (١) :

عمرو العلا هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وأن جعفرا أبا عبد الله توفي في سنة ثمان وأربعين في إمارة أبي جعفر المنصور.

وأما المنتظر فقد ذكر طائفة من أهل العلم بأنساب أهل البيت أن الحسن بن علي العسكري لما توفي بعسكر سامراء لم يعقب ولم ينسل، وقال من أثبته: إن أباه لما توفي سنة ستين ومئتين كان عمره سنتين أو أكثر من ذلك بقليل، وأنه غاب من ذلك الوقت، وأنه من ذلك الوقت حجة الله على أهل الأرض، لا يتم الإيمان إلا به، وأنه هو المهدي الذي أخبر به النبي – صلى الله عليه وسلم –، وأنه يعلم كل ما يفتقر إليه في الدين.

وهذا موضع ينبغي للمسلم أن يتثبت فيه ويستهدي الله ويستعينه، فإن الله قد حرم القول بغير علم، وذكر أن ذلك من خطوات الشيطان،

---

(١) هو مطرود بن كعب الخزاعي أو ابن الزبعرى، انظر تاريخ الطبري (٢/٢٥١، ٢٥٢) و"البداية والنهاية" (٣/٣٥٦) .." (٢)

"بأنه صرف الكلام عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح بغير دليل. فقوله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) ونحوها من الآيات ليس ظاهرها ولا مدلولها ولا مقتضاها ولا معناها أن يكون الله مختلطا بالمخلوقين ممتزجا بهم، ولا إلى جانبهم متيامنا أو متياسرا، ونحو ذلك، لوجوه:

أحدها: أنه لم يقل أحد من أهل اللغة إن المعية تقتضي الممازجة والمخالطة، ولا توجب التيامن ولا التياسر (١) ونحو ذلك من المعاني المنفية عن الله مع خلقه، وإنما تقتضي المصاحبة والمقارنة المطلقة. الثاني: أنه حيث ذكر في القرآن لفظ المعية فإنه لم يدل على الممازجة والمخالطة، كما في قوله: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (٢) ، فليس معنى ذلك أن ذات المؤمنين ممتزجة بذاته.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢/١٣٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣/٩٧

وكذلك قال تعالى: (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم) (٣) ، والمجاهد معهم ليست ذاته ممتزجة بذواتهم ولا مماسة لذواتهم. وقال تعالى: (اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (١١٩)) (٤) ، وليس المراد أن ذاته تمتزج بذواتهم ولا مماسة لها. وقال تعالى: (وما آمن معه إلا قليل (٤٠)) (٥) ، وقال تعالى: (فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون (١١٩)) (٦) .

---

(١) ما بعده في الأصل غير متصل بما قبله. وقد وجدت ما يكمله في الورقة (٥٣ ب/ سطر٨) .

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) سورة الأنفال: ٧٥.

(٤) سورة التوبة: ١١٩.

(٥) سورة هود: ٤٠.

(٦) سورة **الشعراء**: ١١٩.." [1]

"وكذلك إذا قيل: هو يقتضي مطلق الموافقة أو المشاركة فيما قد يسمى مكانا ونحو ذلك من الأسماء، فإنه لا يدل إلا على مطلق هذه الموافقة، لكن قد يكون من لوازم ذلك موالاة أحدهما للآخر محبة ونصرة، كما يقال: فلان معي وفلان علي، إذ كان من شأن المتحابين قرب كل منهما إلى الآخر حتى يتفقا في محل واحد، وقد يكون من لوازم ذلك معرفة كل منهما بالآخر أو معاونته، إذ من شأن المجتمعين من الآدميين في محل [أن] يعرف أحدهما الآخر ومعاونته له.

وهذا كما أن لفظ "العلم" في الأصل إنما يقتضي معرفة المعلوم، ثم قد يكون من لوازم ذلك ما يقتضيه العلم من محاسبة الشخص ومجازاته ونحو ذلك، كما في قوله (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا (١٠٨)) (١) ، وكما في قوله (نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى) (٢) ، وقوله تعالى (قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا) إلى قوله (ألا إن لله ما في السماوات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم (١٤)) (٣) .

وكذلك "السمع" و"البصر"، مثل قوله: (لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق) (٤) ، وقوله: (الذي يراك حين تقوم (٢١٨) وتقلبك في الساجدين (٢١٩)) (٥) ، وقوله:

---

(١) سورة النساء: ١٠٨.

(٢) سورة الإسراء: ٤٧.

(٣) سورة النور: ٦٣- ٦٤.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٦١/٣

(٤) سورة آل عمران: ١٨١.

(٥) سورة **الشعراء**: ٢١٨- ٢١٩.." [١]

"صار أحدهم ليس في نفسه إله إلا الله خلص من شرك المشركين، فإن أكثر بني آدم كما قال تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١٠٦)) (١) ، فهم يقرون أنه رب العالمين لا رب غيره، ومع هذا يشركون به في الحب أو التوكل أو الخوف أو غير ذلك من أنواع الشرك.

وأما التوحيد أن يكون الله أحب إليه من كل ما سواه، فلا يحب شيئا مثل ما يحب الله، ولا يخافه كما يخاف الله، ولا يرجوه كما يرجوه، ولا يجله ويكرمه مثل ما يجل الله ويكرمه، ومن سوى بينه وبين غيره في أمر من الأمور فهو مشرك، إذ كان المشركون لا يسوون بينه وبين غيره في كل [شيء] ، فان هذا لم يقله أحد من بني آدم، وهو ممتنع لذاته امتناعا معلوما لبني آدم، لكن منهم من جحده وفضل عليه غيره في العبادة والطاعة، لكن مع هذا لم يثبته ويسو بينه وبين غيره في كل شيء، بل في كثير من الأشياء. فمن سوى بينه وبين غيره في أمر من الأمور فهو مشرك، قال الله تعالى (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (١)) (٢) أي يعدلون به غيره، يقال: عدل به أي جعله عديلا لكذا ومثلا له. وقال تعالى: (وبرزت الجحيم للغاوين (٩١)) إلى قوله: (إذ نسويكم برب العالمين (٩٨)) (٣) وقال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) (٤) .

---

(١) سورة يوسف: ١٠٦.

(٢) سورة الأنعام: ١.

(٣) سورة **الشعراء**: ٩١- ٩٨.

(٤) سورة البقرة: ١٦٥.." [٢]

"الغفور الرحيم (١٦)) (١) ، وقد دعا غيرهم بنحو هذا الدعاء، كقول الخليل عليه السلام: (ربنا اغفرلى ولولدى وللمؤمنين يوم يقوم الحساب (٤١)) (٢) ،

وقال: (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين (٨٢)) (٣) ، وقال هو وإسماعيل: (ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨)) (٤) ، وقال موسى عليه السلام: (أنت ولينا فأغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين (١٥٥) واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك) (٥) ، وقال نوح عليه السلام: (رب أنى أعوذ بك أن أسئلك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين (٤٧)) (٦) ، وقال يونس: (لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين (٨٧)) (٧) .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٦٧/٣

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٧٩/٣

وقد ثبت في الصحيح (٨) من حديث علي عليه السلام عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان يقول في دعاء الاستفتاح: "اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربي وأنا عبدك، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن

(١) سورة القصص: ١٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٤١.

(٣) سورة الشعراء: ٨٢.

(٤) سورة البقرة: ١٢٧-١٢٨.

(٥) سورة الأعراف: ١٥٥-١٥٦.

(٦) سورة هود: ٤٧.

(٧) سورة الأنبياء: ٨٧.

(٨) مسلم (٧٧١) .." [١]

"مذموما بذلك، وكذلك أيوب عليه السلام قال: (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين (٨٣)) قال: (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين (٨٤)) (١) .

وقد قال تعالى: (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (٨٧) فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين (٨٨)) (٢) . وقال تعالى: (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (٧٥) ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦)) (٣) .

فهؤلاء الأنبياء قد اشتكوا إلى الله، وأزال ما اشتكوا منه من الضر والغم والحزن ونحو ذلك، فكيف يمحى [نبي من] الأنبياء إذا اشتكى من ضر القمل وغيره؟ أم كيف يمحوه من ديوان النبوة إذا اختلج ذلك في سره؟ وأكثر ما يقال: إن العبد ينبغي له أن يرضى بالقضاء. لكن جواب هذا من وجوه:

أحدها: أن الرضا ليس بواجب في أصح قولي العلماء بل يستحب، وإنما الواجب الصبر، والصبر لا ينافي الشكوى.

الثاني: أن الرضا لا ينافي القضاء مطلقا، بل يرضى في الحاضر، ويسأل الله في المستقبل أمرا آخر، فإن الرضا إنما يكون

(١) سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤.

(٢) سورة الأنبياء: ٨٧-٨٨.

(٣) سورة الشعراء: ٧٥-٧٦.." [٢]

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢٥/٤

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٧٤/٤

"وكثير من أهل الجهل والضلال يطلبون جزاء أعمالهم من أولياء الله أو أنبيائه، كأنهم يعبدونهم أو كأنهم عملوا لأجلهم، وإنما هم لهم دعاة وهداة ومرشدون ومعلمون، ومعينون لهم على الخير بحسب ما يمكنهم من دعاء وغير دعاء، يطلبون أجرهم من الله لا ممن دعوه وأعانوه، ولهذا كان كل من الرسل يقول: (وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين (١٠٩)) (١) وقال:) (قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا (٥٧)) (٢) ، وهذا الاستثناء منقطع، وكذلك الاستثناء في قوله: (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) (٣) .

كما قد فسر ذلك ابن عباس، وحديثه في الصحيحين (٤) .

وكذلك من عمل صالحا ينتفعون به من ذكر وأنثى فإنما يطلب أجره من الله، فنحن كل خير نفعله هو ببركة دعوة الرسول لنا إلى الخير، وأجرنا في ذلك على الله لا على غيره، وله مثل أجورنا من الله لا منا، ولهذا أمرنا عند زيارة القبور أن نسلم عليهم وندعو لهم كما نصلي على جنائزهم، ويكون أجرنا في ذلك على الله، لا من صلينا على جنازته ولا على من زرنا قبره، ويكون رغبتنا إلى الله، كما قال تعالى: (فإذا فرغت فانصب (٧) وإلى ربك فارغب (٨)) (٥) .

---

(١) سورة الشعراء: ١٠٩، ١٢٧، ١٤٥، ١٦٤، ١٨٠.

(٢) سورة الفرقان: ٥٧.

(٣) سورة الشورى: ٢٣.

(٤) رواه البخاري (٤٨١٨) ، ولم أجده عند مسلم.

(٥) سورة الشرح: ٧- ٨.." [1]

"هؤلاء يتناقض في كلامه ولا يدري أنه يتناقض، لأن أصلهم فاسد في العقل والدين.

ولا ريب أن الشيخ إنما استمد هذا الكلام من كلام الشيخ سعد الدين ابن حمويه، وقد قيل: إذا أردت أن تعرف خطأ شيخك فاجلس إلى غيره. وقد كان من الواجب على من خاطبنا في هذا المقام أن يتأمل مع كلام سعد الدين كلام ابن العربي في "الفصوص" وفي كتاب "الهو" و"الجلالة"، وفي مواضع من "الفتوحات" وفي غير ذلك؟ ويتأمل كلام القونوي في كتاب "مفتاح غيب الجمع والوجود"؛ ويتأمل كلام ابن سبعين في "البد" و"الإحاطة" وغيرهما؛ ويتأمل كلام التلمساني في "شرح الأسماء"؛ ويتأمل آخر قصيدة ابن الفارض التي هي "نظم السلوك"، مثل قوله: (١)

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صفت

كلانا مصل واحد ساجد إلى حقيقته بالجمع في كل سجدة

وما كان لي صلى سواي ولم تكن صلاتي لغيري في أدا كل سجدتي

ومثل قول ابن إسرائيل (٢) :

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٩٣/٤

(١) ديوانه: (ص ٣٤) .

(٢) هو محمد بن سوار بن إسرائيل، نجم الدين الشيباني الدمشقي، شاعر حذا في بعض شعره حذو ابن الفارض. توفي سنة ٦٧٧. له "ديوان شعر" مخطوط. ترجمته في "فوات الوفيات" (٣/٣٨٣ وما بعدها) ، وهذا البيت فيه (٣/٣٨٤) .." [١]

"لموسى وهارون: (إنني معكما أسمع وأرى (٤٦)) (١) ، وقال: (إنا معكم مستمعون (١٥)) (٢) ، وقال: (إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا (٤٠)) (٣) ، وقال: (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)) (٤) ، وقال: (واصبروا عن الله مع الصابرين (٤٦)) (٥) .

وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل، اللهم اصحبنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا" (٦) . وقال "أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت" (٧) . وفي حديث: اللبيب في الجنة فيفرح الله ومعه النبيون والصديقون والشهداء (٨) .

فإذا كان ما ثم غيره، ولا معه الآن شيء من الخلق، بل الأمر كما كان قبل أن يخلق الخلق، فمع من يكون ولمن يصحب؟ بل قوله (ولا تجعل مع الله إلها آخر) (٩) يقتضي أنه ثم شيء غيره، شيء لا يجوز أن نجعله إلها، ولكن يجوز أن نجعله غير إله عبدا ومملوكا.

---

(١) سورة طه: ٤٦.

(٢) سورة الشعراء: ١٥.

(٣) سورة التوبة: ٤٠.

(٤) سورة النحل: ١٢٨.

(٥) سورة الأنفال: ٤٦.

(٦) أخرجه مسلم (١٣٤٢) عن ابن عمر.

(٧) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" (٦/١٢٤) من حديث عبادة بن الصامت، وضعفه الألباني في "الضعيفة" (٢٥٨٩) .

(٨) لم أجده.

(٩) سورة الإسراء: ٣٩.." [٢]

"ولهذا قال الفقهاء: يستحب الاستسقاء بأهل الصلاح والدين، والأولى أن يكونوا من أهل بيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، اقتداء بعمر لما استسقى بالعباس. ولو كان توسلهم في حياته هو إقساما به على الله وتوسلا بذاته من غير أن يدعو لهم، لأمكن ذلك بعد مماته، ولكان توسلهم به أولى من توسلهم بالعباس. ولكن إنما كانوا يتوسلون بدعائه،

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٩٢/٤

(٢) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٣٩٩/٤

كما ثبت ذلك في الصحاح أنهم توسلوا في الاستسقاء بدعائه. وفي صحيح البخاري (١) عن ابن عمر قال: ربما ذكرت قول الشاعر:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

ولم يقل أحد من المسلمين إنهم كانوا في حياته يقسمون به ويتوسلون بذاته، بل حديث الأعمى الذي رواه أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وغيرهم (٢) ، ألفاظه صريحة في أن الأعمى إنما توسل بدعاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، كما قد بسطت ألفاظه في موضع

= والتاريخ (٢/ ٣٨٠) عن سليم بن عامر، وصححه الحافظ في "الإصابة" (٣/ ٦٧٣) . وفي طبقات ابن سعد (٧/ ٤٤٤) : أخبرت عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو عن سليم، فذكره. وانظر "البداية والنهاية" (١٢/ ١٦١) .

(١) برقم (١٠٠٩) . والبيت من قصيدة أبي طالب التي أوردها ابن هشام في "السيرة" (١/ ٢٧٢-٢٨٠) ، ثم قال: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٣٨) والترمذي (٣٥٧٨) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٥٨، ٦٥٩) وابن ماجه (١٣٨٥) وابن خزيمة (١٢١٩) وغيرهم من حديث عثمان بن حنيف، وصححه الترمذي والحاكم (١/ ٣١٣، ٥١٩) وغيرهما.." [1]

"عدل، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "من أعتق شركا له في عبد، وكان له من المال ما يبلغ ثمن العبد، قوم عليه قيمة عدل لا وكس ولا شطط، فأعطي شركاؤه وعتق عليه العبد".

وكذلك يسمى تعديل الحساب تقويما، فإذا جمعت حركة الشمس والقمر وغيرهما السريعة والبطيئة، وأحد يعدل ذلك، سمي ذلك تعديلا وتقويما، ويسمى ما يكتب فيه ذلك تقويما، كما يصنع بالمكان إذا أخذ مغله في إقباله وإدباره، فإنه يوجد معدل ذلك، ويقوم باعتبار ذلك.

ويقال: قامت السوق، إذا حصل فيها التبايع بالتراضي الذي هو أصل العدل، ولابد أن يبقى ذلك زمنا، ففي قيام السوق معنى العدل والثبات، قال الشاعر:

أقامت سوقها عشرين عاما

ومنه قوله تعالى: (إلا ما دمت عليه قائما) (٢) ، أي يقوم عليه كما يقوم القيم على ما يقوم عليه وإن كان جالسا معه. والإقامة أبلغ من القيام، فإن فيها زيادة الهمزة والزيادة لزيادة المعنى، وهي تقتضي من الثبات والدوام أبلغ مما يدل عليه لفظ القيام. والمقام بالمكان هي السكنى فيه واستيطانه، والمقيم خلاف المسافر.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٥/ ١١١

(١) أخرجه البخاري (٢٥٢١-٢٥٢٥ ومواضع أخرى) ومسلم (١٥٠١ وبعد رقم ١٦٦٧) عن عبد الله بن عمر.

(٢) سورة آل عمران: ٧٥.." [١]

"بالحق من مادة.

فاسمه سبحانه "القيوم" يقتضي الدوام والثبات والقوة، ويقتضي الاعتدال والاستقامة، وقد وصف نفسه بأنه قائم بالقسط (١) ، وأنه على صراط مستقيم (٢) . ومنه قوله: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم (٤)) (٣) ، ومنه قامة الإنسان وهو اعتداله، ومنه قيام الإنسان، فإنه يتضمن الاعتدال مع كمال وطمأنينة، ومنه قول **الشاعر** (٤) :

أقيمي أم زنباع أقيمي ... صدور العيس شطر بني تميم

فإنه أراد: وجهي صدور العيس نحو بني تميم. والعيس هي الإبل التي تركب ويحمل عليها، ويقال: الإبل العيس، جمع عيساء.

---

(١) كما في سورة آل عمران: ١٨.

(٢) كما في سورة هود: ٥٦.

(٣) سورة التين: ٤.

(٤) البيت لأبي جندب الهذلي مطلع قصيدة له في "شرح أشعار الهذليين" (١/ ٣٦٣) . قال الأصمعي: وتروى لأبي ذؤيب. وفي "لسان العرب" (شطر) لأبي زنباع الجذامي. والرواية فيهما: أقول لأم زنباع ...." [٢]

"طاعة الله ورسوله وملازمة الكتاب والسنة، وأقل أحوالهم الصدق والبر، كما [أن] علامة الفاجر الكذب والفجور.

قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (١) : "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا".

وهكذا قال الله تعالى في القرآن: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢)) (٢) .

فأخبر أن الشياطين تنزل على الكذاب في قوله، الفاجر في فعله، كما كانت تنزل على المتنبئين الكذابين مثل الأسود العنسي ومسيلمة الكذاب والمختار بن أبي عبيد؛ حتى قالوا لابن عمر أو لابن عباس (٣) رضى الله عنهما: إن المختار يزعم أنه ينزل عليه فقال: صدق: (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين (٢٢١) تنزل على كل أفاك أثيم (٢٢٢)) .

وقالوا لآخر (٤) : إنه يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق: (وإن

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩٤) ومسلم (٢٦٠٧) عن عبد الله بن مسعود.

(٢) سورة **الشعراء**: ٢٢١-٢٢٢.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٦٧/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٧٦/٥

(٣) هذا مروي عن عبد الله بن الزبير، كما في تفسير الطبري (٧٧/١٩) . وروي عن ابن عمر وابن عباس نحوه واستشهدا بآية سورة الأنعام. انظر تفسير ابن كثير (١٣٥٦/٣) .

(٤) روي عن ابن عمر في المصدر السابق.." [1]

"إذن من الله، مثل بدع الخوارج، واستحلالهم (١) ما استحلوه من مفارقة السنة والجماعة، حتى قال **شاعرهم** (٢) في قاتل علي بن أبي طالب- وهو أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي-:

ياضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره حينا فأحسبه أو فى البرية عند الله ميزانا

وكذلك ما عليه كثير من القدرية والمرجئة والجهمية والرافضة، وغيرهم من أهل البدع الاعتقادية إذا كانوا فيها مخلصين مريدين التقرب بها إلى الله.

وكذلك ما عليه كثير من المبتدعة في العبادات والأحوال، من الصوفية والعباد والفقهاء والأمراء والأجناد والولاة والعمال، فكثير من هؤلاء قد يزين له سوء عمله فيراه حسنا، ويتقرب إلى الله بشيء يظنه حسنا، وهو شيء مكروه، وهذا باب واسع.

ومن هذا الباب عبادات اليهود والنصارى التي يتقربون بها إلى الله ويخلصون فيها، قال الله تعالى: (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا (١٠٣) الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) (٣) ، وسئل عنهم سعد بن أبي وقاص فقال: "هم أهل الصوامع والديارات" (٤) . وسئل عنهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: "هم أهل

---

(١) في الأصل: "ولاستحلالهم".

(٢) هو عمران بن حطان، كما في الكامل للمبرد (١٠٨٥/٣) .

(٣) سورة الكهف: ١٠٣، ١٠٤.

(٤) أخرجه البخاري عنه (٤٧٢٨) .." [2]

"والإرادة، فإن الفاعل الذي يقصد غاية تكون اللام في فعله للتعليل والإرادة، إذ هي العلة الغائية، والذي لا يقصدها تكون اللام في فعله لام العاقبة.

فيقال لهم: لام العاقبة إما أن تكون من جاهل بالعاقبة، كقوله: (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) (١) ، أو من عاجز عن دفع العاقبة السيئة، كقولهم (٢) :

لدوا للموت وابنوا للخراب

وقولهم (٣) :

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٢٥/٥

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٢/٦

وللموت ما تلد الوالده

فأما العالم القادر فعلمه بالعاقبة وقدرته على وجودها ودفعها، يبتغي أن لا يكون مريدا لها.

فافترق القدرية فرقتين:

منهم من اختار أنه لم يكن عالما بما يؤول إليه الأمر من الطاعة والمعصية.

---

(١) سورة القصص: ٨.

(٢) هذا صدر بيت عجزه: فكلكم يصير إلى ذهاب. واختلف في نسبته، فهو لأبي نواس في ديوانه (ص ٢٥٠) ، ولأبي العتاهية في الأغاني (٣/١٥٥) وديوانه (ص ٢٣- ٢٤) ، وبلا نسبة في الحيوان (٣/٥١) .

(٣) وقع هذا الشطر في شعر عدد من **الشعراء**، انظر "شرح أبيات مغني اللبيب" (٤/٢٩٦، ٢٩٧) .." [(١)]

"فوجب أن يكون مقصوده بذلك الفعل أمرا آخر، لا مجرد ما تهواه نفسه وتحبه وتريده.

وهذا يبين بالدليل العقلي أن اتباع الأهواء مطلقا موجب للفساد، وأنه لا يصلح أن يعبد الإنسان مجرد ما يهواه، كما قال: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) (١) ، وأنه لا بد أن يكون المعبود المقصود يعبد لمعنى فيه، لا لمجرد إرادة النفس وهواها، وحينئذ فذلك المعنى الذي اختص به وصار لأجله محبوبا معبودا إما أن يكون لنفع منه إلى المحب القاصد العابد، وإما أن يكون لذاته، بمعنى أن في قصده ومحبته صلاح القاصد العابد.

أما الأول فقد تبين في المقام الأول أن الله هو رب، كل شيء وخالقه، فليس غيره مستقلا بالنفع، وإن كان غيره سببا فيه، فذلك النفع الذي يفعله إما أن ييسره الله أو لا ييسره، فإن يسره وصل إليك منه، سواء قصدته أو لم تقصده، وإن لم ييسره لم يصل إليك منه، سواء قصدته أو لم تقصده، فلم يكن في عبادته ما يوجب وصول تلك المنفعة إليك.

وأيضا فذاك المعبود إما أن يعلم بعبادتك أو لا يعلم، فإن لم يعلم لم يجز أن يقصد إيصال النفع إليك، وإن علم فالعالم **الشاعر** لا يعمل إلا لجلب منفعة أو دفع مضرة. وكونك تعبده وتقصده وتجعله هو الغاية المطلوبة بعملك ليس له في هذا منفعة ولا مصلحة، لأنه لو جاز

---

(١) سورة الجاثية: ٢٣.." [(٢)]

"القديم الواجب بنفسه، الذي هو فاعل للممكنات والمحدثات وربها وخالقها. إذ الوجود فيه أشياء محدثة، ولا بد لها من محدث، وفيه حركات موجودة، ولا بد لها من غاية، فإن الحركات إما إرادية وإما طبعية وإما قسرية، لأنها إن كان المتحرك **شاعرا** فهي الإرادية، وإن لم يكن **شاعرا**، فإن كانت بلا شعور على خلاف طبعها فهي القسرية، كحركة الحجر إلى فوق، وإلا فهي الطبعية، كحركته إلى أسفل، لكن القسرية تابعة للقاسر. وأما الطبعية فلا تكون إلا إذا خرج المطبوع عن مركزه

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/٥٩

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/١١٦

ومستقره، كخروج التراب والحجارة عن مركزها إلى فوق، وكذلك الماء. فبطلت بطبعها أن تعود إلى مركزها ومستقرها، فلو لم تحرك أولا عنه لما خرجت، فتبين أن الطبعية والقسرية تابعتان، فعلم أن كل حركة في العالم عن إرادة، وتلك حركات الملائكة الذين أخبر الله عنهم في كتابه عما يدبرونه بإذنه وأمره من أمر السموات والأرض، كما قال تعالى: (والذاريات ذروا (١) فالحاملات وقرا (٢) فالجاريات يسرا (٣) فالمقسمات أمرا (٤)) (١) ، فأقسم بالمخلوقات طبقا بعد طبق، بالرياح ثم بالسحاب ثم بالنجوم وأفلاكها، ثم بالملائكة المقسمات أمرا. وكذلك قوله: (والنازعات غرقا (١) والناشطات نشطا (٢) والسابحات سبحا (٣) فالسابقات سبقا (٤) فالمدبرات أمرا (٥)) (٢) .

ونصوص الكتاب والسنة في ذلك أكثر من أن يمكن ذكرها هنا، فإذا كانت جميع الحركات هي عن إرادات، ولا بد للمريد من غاية هي

---

(١) سورة الذاريات: ١- ٤.

(٢) سورة النازعات: ١- ٥.." [١]

"الحمد لله رب العالمين. قال الشيخ الإمام العالم المحقق أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله:

فصل

قاعدة في إرادة العدم والإعدام واستطاعته وفعله

وطلبه والتعليل به ونحو ذلك

قد ذكرت بعض ما يتعلق بذلك عند الكلام في العلم بالمعدوم، ومسألة النهي هل هو طلب العدم أو الوجود، وعند الكلام في إحسان الله لخلق كل شيء، وأنه إنما لا يصرف إليه المعدوم ونحو ذلك. ونحن نذكر هنا قاعدة، فنقول:

الصفات المتعلقة بالوجود مثل: العلم والإرادة والأمر والقدرة والفعل والسبب الفاعل كيف يتعلق بالعدم؟ أما العلم فقد قررنا في غير هذا الموضع أنه إنما يعلم المعدوم بطريق التبع للعلم بالوجود، وكذلك قررنا أنه إنما يراد المعدوم بطريق التبع للموجود، فإن الشاعر منا لا يدرك بنفسه ابتداء عدم شيء، وإنما يدرك الوجود، ثم يقدر في نفسه ما يركبه أو يفرعه من أجزاء الوجود، مثل تقدير إله آخر، أو نبي بعد محمد، أو جبل ياقوت، أو بحر زئبق، فحينئذ يعلم أنه لا إله إلا الله، وأنه لا نبي بعد محمد، وأنه ليس هنا جبل ياقوت وبحر زئبق، وإنما يعلم ذلك بعد أن يكون علم إلها موجودا ونبيا موجودا وبحرا وجبلا وياقوتا وزئبقا، وأما ما لم يتصور مفرداته من الموجود فإدراك عدمه مثل عدم إدراكه، كما قال تعالى: (قل أتنبئون الله بما لا يعلم في." [٢]

"أصل له، فأما المشركون من غيرهم فقد قال تعالى: (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون (٣٥) ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) (١) .

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ١٩٣/٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٠٣/٦

وأما اليهود فقد وصفهم بالاستكبار والعلو في الأرض في مثل قوله: (وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (٤)) (٢) ، كما وصف فرعون بذلك في قوله: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها) إلى قوله: (إنه كان من المفسدين (٤)) (٣) ، فوصفه بالعلو والفساد كما وصفهم. وقال في اخر السورة: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا) الاية (٤) ، وقال تعالى في خطابه لبني إسرائيل: (وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله) إلى قوله تعالى: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون (٨٧)) (٥) ، فهم استكبروا عما جاءت به الرسل، فقتلوا فريقا من الرسل وكذبوا فريقا. والنصارى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح بن مريم.

وقد قال تعالى: (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا

---

(١) الصافات: ٣٥- ٣٦.

(٢) سورة الإسراء: ٤.

(٣) سورة القصص: ٤.

(٤) سورة القصص: ٨٣.

(٥) سورة البقرة: ٨٣- ٨٧.." (١)

"والميزان ليقوم الناس بالقسط) (١) ، وقال: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) (٢) . ولهذا أمر الله رسوله أن يقول لأهل الكتاب: (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله) الاية (٣) .

فالإسلام يتضمن العدل، وهو التسوية بين المتماثلين والتفريق بين المتفاضلين من المخلوقات، إذ ذلك من الإسلام لله رب العالمين وحده، فإنه إذا كان الدين كله لله وكانت كلمة الله هي العليا كان الله يأمر بالعدل وينهى عن الظلم. وأصل العدل هو القسط، والقسط هو الإقساط في حق الله تعالى بان لا يعدل به غيره ولا يجعل له شريك، كما قال النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ: "حق الله على عباده أن يعبدوه لا يشركون به شيئا" (٤) . فإذا لم يسلموا له بل عدلوا به غيره كان ذلك ظلما عظيما، وإذا فعلوا هذا الظلم في حق الله فهم في حقوق العباد أظلم، والتسوية بين المتفاضلين ظلم، كما أن التفضيل بين المتماثلين ظلم، والشرك من نوع الأول كما قال تعالى: (إذ نسويكم برب العالمين (٩٨)) (٥) ، والاستكبار قد يكون من نوع الثاني، والإسلام يتضمن العدل كله، كما أنه ينافي الشرك والكبر.

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

(٢) سورة الأعر اف: ٢٩.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية – عزير شمس ابن تيمية ٢٢٥/٦

(٣) سورة ال عمران: ٦٤.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سورة الشعراء: ٩٨.." [١]

"جثيا (٧٢)) (١) ، (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) (٢) . وقال: (إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها) (٣) ، (وقد خاب من حمل ظلما (١١١)) (٤) . وقال: (أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين (٣٨)) (٥) ، (وأسروا النجوى الذين ظلموا) (وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة) (ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين (٤٦)) (٦) . وقوله: (فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين (٢٨)) (٧) . وقوله: (قل رب إما تريني ما يوعدون (٩٣) رب فلا تجعلني في القوم الظالمين (٩٤)) (٨) . وقول أهل الأعراف: (ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين (٤٧)) (٩) . وقوله: (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (٢٢٧)) (١٠) . وقوله: (وأعتدنا للظالمين عذابا أليما (٣٧)) (١١) (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) (١٢) (ووقع القول

---

(١) سورة مريم:٧٢.

(٢) الكهف:٥٩.

(٣) الكهف: ٢٩.

(٤) طه: ١١١.

(٥) مريم: ٣٨.

(٦) الأنبياء: ٣، ١١، ٤٦.

(٧) المؤمنون: ٢٨.

(٨) المؤمنون: ٩٣- ٩٤.

(٩) الأعر اف: ٤٧.

(١٠) الشعراء: ٢٢٧.

(١١) الفر قان: ٣٧.

(١٢) النمل:٥٢.." [٢]

"تقدم من ذنبه وما تأخر قبل هذا المقام، فإنه سائر في مقام المغفرة. ولهذا قال الخليل -وهو أحد الرسل الكبار المطلوب منهم الشفاعة يومئذ-: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) (١) ، فالمغفرة التي رجاها تكون يوم الدين، وهي واقعة بعد شفاعة سيد ولد آدم، فإنه قبل ذلك يقول (٢) : إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٣١/٦

(٢) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٢٣٩/٦

يغضب بعده مثله، ويذكر خطيئته: نفسي نفسي نفسي اذهبوا إلى موسى.

وهذا كله مما يؤكد أمر الاستغفار ويبين أنه نهاية الأمر، وأن السائر فيه هو من سائر السابقين، فتكريره يوجب من ذلك ما لا يوجبه غيره. والله أعلم.

---

(١) سورة الشعراء: ٨٢.

(٢) كما في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري (٤٧١٢) ومسلم (١٩٤) عن أبي هريرة.." [(١)]

"[سبب تسمية الرافضة] (١٣٢)

وإنما سموا رافضة لأنهم رفضوا أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - ولم يرفضهما أحد من أهل الأهواء غيرهم، والشيعة دونهم وهم الذين يفضلون عليا (١٣٣) على عثمان - رضي الله عنهما - ويتولون أبا بكر وعمر، فأما الرافضة فلها غلو شديد في علي ذهب فيه (١٣٤) بعضهم مذهب النصارى في المسيح وهم السبابة (١٣٥) أصحاب عبد الله بن سبأ (١٣٦) ، وفيهم يقول الحميري:

قوم غلو في علي [٧/أ] لا أبا لهم ... وأجشموا أنفسا في حبه تعبا

قالوا هو الله جل الله خالقنا ... من أن يكون ابن شيئا أو يكون أبا

وقد أحرقهم علي - رضي الله عنه - بالنار (١٣٧) .

ومن الروافض المغيرة بن سعد مولى بجيلة (١٣٨) ، قال الأعمش (١٣٩) : دخلت على المغيرة بن سعد فسألته عن فضائل علي - رضي الله عنه - فقال لي: إنك لا تحتملها، قلت: بلى، فذكر آدم عليه السلام فقال: علي خير منه، ثم ذكر من دونه من الأنبياء عليهم السلام فقال: علي خير منهم، حتى انتهى إلى محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال: علي مثله، فقلت: كذبت عليك لعنة الله، قال: قد أعلمتك أنك لا تحتمله.

ومن الروافض من يزعم أن عليا في السحاب، فإذا أظلتهم سحابة قالوا: السلام عليك يا أبا الحسن، وقد ذكر [ذلك] (١٤٠) بعض الشعراء (١٤١) :

برئت من الخوارج لست منهم ... من الغزال منهم وابن باب (١٤٢)

ومن قوم إذا ذكروا عليا ... يردون السلام على السحاب

ولكني أحب بكل قلبي ... وأعلم أن ذاك من الصواب

رسول الله والصديق حقا (١٤٥) ... به أرجو غدا حسن الثواب (١٤٣) (١٤٤)

---

(١٣٢) ما بين المعقوفتين زيادة مني.

(١٣٣) في الأصل: ((علي)) وهو لحن.

---

(١) جامع المسائل لابن تيمية - عزير شمس ابن تيمية ٦/٢٧٩

(١٣٤) في الأصل: ((فيهم)) .

(١٣٥) في الأصل: ((السبابة)) والمراد بهم السبئية، أتباع عبد الله بن سبأ، ولعل هذا الاسم من أسمائهم.

(١٣٦) انظر الطبري: التاريخ ١٨١/٧، وابن قتيبة: المعارف ص٦٢٢.

(١٣٧) خبر إحراقهم ورد عند البخاري: الصحيح مع الفتح ٢٦٧/١٢ رقم ٦٩٢٢، وانظر الفتح ٣٧٠/١٢.

(١٣٨) انظرالطبري: التاريخ ١٢٨/٧.

(١٣٩) سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي، ثقة حافظ عارف بالقراءات، ورع، لكنه يدلس، توفي سنة سبع وأربعين ومئة.

(التقريب رقم ٢٥٤) .

(١٤٠) زيادة يقتضيها السياق.

(١٤١) إسحاق بن سويد العدوي.

(١٤٢) في الأصل: ((ابن داب)) والتصويب من البيان والتبيين.

والغزال: هو واصل بن عطاء، وابن باب: عمرو بن عبيد؛ وهما من المعتزلة.

(١٤٣) البيان والتبيين ٢٣/١.

(١٤٤) في الهامش: ((ومنه كلامهم: كفى في فضل مولانا علي وقوع الشك في أنه هو الله، ومات الشافعي وليس يدري علي ربه أم ربه الله)) .

وجاء في هامش الأصل تحت هذه الفقرة: ((فيه ما فيه)) . قلت: تعالى الله عن قولهم، وبرأ الله الشافعي من قولهم الباطل.

(١٤٥) في البيان والتبيان ((حبا)) .." (١)

"الشفاعة الشرعية والتوسل إلى الله بالأعمال وبالذوات والأشخاص

بسم الله الرحمن الرحيم

وسئل أيضا رحمه الله تعالى: هل يجوز للإنسان أن يتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم في طلب حاجة أم لا؟ فأجاب: الحمد لله – أجمع المسلمون على أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع للخلق يوم القيامة بعد أن يسأله الناس ذلك وبعد أن يأذن الله له في الشفاعة.

ثم أهل السنة والجماعة متفقون على ما اتفقت عليه الصحابة واستفاضت به السنن من أنه يشفع لأهل الكبائر من أمته ويشفع أيضا لعموم الخلق.

وأما الوعيدية من الخوارج والمعتزلة فزعموا أن شفاعته إنما هي للمؤمنين خاصة في رفع الدرجات، ومنهم من أنكر الشفاعة مطلقا.

وأجمع أهل العلم على أن الصحابة كانوا يستشفعون به في حياته، ويتوسلون بحضرته، كما ثبت في صحيح البخاري عن

---

(١) فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ابن تيمية ١٢٤١/١٣

أنس أن عمر بن الخطاب كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا – فيسقون.

وفي البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما ذكرت قول **الشاعر** وأنا أنظر إلى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي فما ينزل حتى يجيش كل ميزاب:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للأرامل

فالإستسقاء هو من جنس الاستشفاع به وهو أن يطلب منه الدعاء والشفاعة ويطلب من الله أن يقبل دعاءه وشفاعته فينا. وكذلك معاوية بن أبي سفيان لما أجدب الناس في الشام استسقى بيزيد بن الأسود الجرشي رضي الله تعالى عنه وقال: اللهم إنا نستشفع ونتوسل إليك بخيارنا، يا يزيد ارفع يديك، فرفع يديه." (١)

"ودعا الناس حتى سقوا، ولهذا قال العلماء: يستحب أن يستسقى بأهل الدين والصلاح وإذا كانوا بهذه المثابة وهم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحسن.

وفي سنن أبي داود وغيره أن رجلا قال: أنا أستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك، فسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رؤي ذلك في وجوه أصحابه فقال: " ويحك أتدري ما الله؟ إن الله لا يستشفع به على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك " فأنكر عليه قوله: إنا نستشفع بالله عليك، ولم ينكر عليه قوله: نستشفع بك على الله – لأن الشفيع يسأل المشفوع إليه أن يقضي حاجة الطالب والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضي حوائج خلقه وإن كان بعض **الشعراء** ذكر استشفاعه بالله في مثل قوله:

شفيعي إليك الله لا رب غيره ... وليس إلى رد الشفيع سبيل

فهذا كلام منكر لم يتكلم به عالم، وكذلك بعض الاتحادية ذكر أنه استشفع بالله ورسوله وكلاهما خطأ وضلال، بل هو سبحانه المسؤول المدعو الذي " يسأله من في السموات والأرض " والرسول صلى الله عليه وسلم يستشفع به إلى الله أي يطلب منه أن يسأل ربه الشفاعة في الخلق أن يقضي الله بينهم، وفي أن يدخلهم الجنة، ويشفع في أهل الكبائر من أمته ويشفع في بعض من يستحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها، ولا نزاع بين جماهير الأمة أنه يجوز أن يشفع لأهل الطاعة المستحقين للثواب، وعند الخوارج والمعتزلة أنه لا يشفع لأهل الكبائر لأن الكبائر عندهم لا تغفر ولا يخرجون من النار بعد أن يدخلوها لا بشفاعة ولا بغيرها.

ومذهب أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر ولا يخلد أحد في النار من أهل الإيمان بل يخرج من النار من في قلبه حبة من إيمان أو مثقال ذرة والاستشفاع به وبغيره هو طلب الدعاء منه وليس معناه الإقسام به على الله والسؤال بذاته بحضوره، فأما في مغيبه أو بعد موته فالإقسام به على الله والسؤال." (٢)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٠/١

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١١/١

"والتلمساني الذي شرح مواقف النغري (١) ، وله شرح الأسماء الحسنى على طريقة هؤلاء وسعيد الفرغاني الذي شرح قصيدة ابن الفارض والششتري صاحب الأرحال الذي هو تلميذ ابن سبعين وعبد الله البلباني وابن أبي منصور المصري صاحب: فك الأزرار عن أعناق الأسرار، وأمثالهم ثم من هؤلاء من يفرق بين الوجود والثبوت كما يقوله ابن عربي ويزعم أن الأعيان ثابتة في العدم غنية عن الله في أنفسها، ووجود الحق هو وجودها، والخالق مفتقر إلى الأعيان في ظهور وجودها، وهي مفتقرة إليه في حصول وجودها الذي هو نفس وجوده، وقوله مركب من قول من قال: المعدوم شيء وقول من يقول وجود المخلوق هو وجود الخالق، ويقول فالوجود المخلوق هو الوجود الخالق، والوجود الخالق هو الوجود المخلوق، كما هو مبسوط في غير هذا الموضع.

وفيهم من يفرق بين الإطلاق والتعيين كما يقوله القونوي ونحوه فيقولون أن الواجب هو الموجود المطلق لا بشرط، وهذا لا يوجد مطلقا إلا في الأذهان فما هو كلي في الأذهان لا يكون في الأعيان إلا معينا، وإن قيل إن المطلق جزء من المعنى لزم أن يكون وجود الخالق جزءا من وجود المخلوقات، والجزء لا يبدع الجميع ويخلقه، فلا يكون الخالق موجودا.

ومن قال إن الباري هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق كما يقوله

(١) هو الشيخ محمد بن عبد الجبار بن الحسن النغري الصوفي المتوفي سنة ٣٥٤ والتلمساني شارحه عفيف الدين سليمان بن علي الصوفي الشاعر صاحب الديوان المشهور توفي سنة ٦٩٠." (١)

"غيره أبول عليه، فقال له شيخه: فالذي يخرج من بطنك من أين هو؟ قال: فرجت عني. ل صورة فإن الذين أنكروه يوم القيامة في بعض الصور كان لقصور معرفتهم، وهذا جهل منهم فإن الذين أنكروه يوم القيامة ثم عرفوه لما تجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها أول مرة هم الأنبياء والمؤمنون وكان إنكارهم مما حمدهم سبحانه وتعالى عليه فإنه امتحنهم بذلك حتى لا يتبعوا غير الرب الذي عبدوه فلهذا قال في الحديث وهو يسألهم ويثبتهم: " وقد نادى المنادي ليتبع كل قوم ما كانوا يعبدون " ثم يقال لهؤلاء الملاحدة إذا كان عندهم هو الظاهر في كل صورة فهو المنكر وهو المنكر كما قال بعض هؤلاء لآخر من قال لك: إن في الكون سوى الله فقد كذب، وقال له الآخر: فمن هو الذي كذب؟ وذكر ابن عربي أنه دخل على مريد له في الخلوة وقد جاءه الغائط فقال ما أبصر غيره أبول عليه، فقال له شيخه: فالذي يخرج من بطنك من أين هو؟ قال: فرجت عني.

ومر شيخان منهم التلمساني هذا والشيرازي على كلب أجرب ميت فقال الشيرازي للتلمساني: هذا أيضا من ذاته؟ فقال التلمساني: هل ثم شيء خارج عنها؟ وكان التلمساني قد أضل شيخا زاهدا عابدا ببيت المقدس يقال له أبو يعقوب المغربي المبتلى حتى كان يقول: الوجود واحد، وهو الله، ولا أرى الواحد، ولا أرى الله.

ويقول نطق الكتاب والسنة بثنوية الوجود والوجود واحد لا ثنوية فيه، ويجعل هذا الكلام له تسبيحا يتلوه كما يتلو التسبيح.

وأما قول الشاعر:

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ٦٧/١

إذا بلغ الصب الكمال من الهوى ... وغاب عن المذكور في سطوة الذكر
فشاهد حقا حين يشهده الهوى ... بأن صلاة العارفين من الكفر
فهذا الكلام مع أنه كفر هو كلام جاهل لا يتصور ما يقول فإن الفناء والغيب هو أن يغيب بالمذكور عن الذكر وبالمعروف عن المعرفة وبالمعبود عن العبادة حتى يفنى من لم يكن ويبقى من لم يزل، وهذا مقام الفناء الذي يعرض لكثير من السالكين لعجزهم عن كمال الشهود المطابق للحقيقة، بخلاف الفناء الشرعي فمضمونه الفناء بعبادته عن عبادة ما سواه وبحبه عن حب ما سواه، وبخشيته عن خشية ما سواه، وبطاعته عن طاعة ما سواه، فإن هذا تحقيق التوحيد والإيمان.
وأما النوع الثالث: من الفناء وهو الفناء عن وجود السوى بحيث يرى أن وجود الخالق هو وجود المخلوق – فهذا هو قول هؤلاء الملاحدة أهل الوحدة، والمقصود هنا أن قوله يغيب عن المذكور كلام." (١)

"وهذا أصلان عظيمان: أحدهما متعلق بالله وهو الإيمان بأنه على كل شيء قدير، والثاني متعلق باليوم الآخر وهو الإيمان بأن الله يعيد هذا الميت ولو صار إلى ما يقدر صيرورته إليه مهما كان فلا بد أن الله يحييه ويجزيه بأعماله، فهذا الرجل مع هذا لما كان مؤمنا بالله في الجملة ومؤمنا باليوم الآخر في الجملة وهو أن الله يثيب ويعاقب بعد الموت فهذا عمل صالح وهو خوفه من الله أن يعاقبه على تفريط غفر له بما كان معه من الإيمان بالله واليوم الآخر، وإنما أخطأ من شدة خوفه، كما أن الذي وجد راحلته بعد إياسه منها أخطأ من شدة فرحه.
وقد وقع الخطأ كثيرا لخلق من هذه الأمة واتفقوا على عدم تكفير من أخطأ، مثل ما أنكر بعض الصحابة أن يكون الميت يسمع نداء الحي، وأنكر بعضهم أن يكون المعراج يقظة، ولبعضهم في الخلافة والتفضيل كلام، وكذلك لبعضهم في قتال بعض وتكفير بعض أقوال معروفة، وكان القاضي شريح ينكر قراءة من قرأ " بل عجبت " ويقول أن الله لا يعجب، فبلغ ذلك إبراهيم النخعي فقال: إنما شريح **شاعر** يعجبه علمه، كان عبد الله أفقه منه وكان يقرأ " بل عجبت " فهذا قد أنكر قراءة ثابتة، وأنكر صفة لله دل عليها الكتاب والسنة، واتفقت الأمة على أن شريحا إمام من الأئمة، وكذلك بعض العلماء أنكر حروفا من القرآن كما أنكر بعضهم: " أولم ييأس الذين آمنوا " فقال: إنما هي " أولم يتبين الذين آمنوا " وآخر أنكر " وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه " فقال: إنما هي " ووصى ربك " وبعضهم كان حذف المعوذتين، وآخر يكتب سورتي القنوت، وهذا الخطأ معفو عنه بالإجماع، وكذلك الخطأ في الفروع العلمية فإن المخطئ فيها لا يكفر ولا يفسق بل ولا يأثم، وإن كان بعض المتكلمة والمتفقهة يجعل المخطئ فيها آثما، وبعض المتفقهة يعتقد أن كل مجتهد فيها مصيب، فهذا القولان شاذان ولم يقل أحد بتكفير المخطئ فيها، فقد أخطأ بعض السلف فيها مثل خطأ بعضهم في بعض." (٢)

"بن حنبل وغيره أن يقال لفظي بالقرآن مخلوق أو غير مخلوق، وقالوا: من قال إنه مخلوق فهو جهمي، ومن قال أنه غير مخلوق فهو مبتدع، وأما صوت العبد فلم يتنازعوا أنه مخلوق، فإن المبلغ لكلام غيره بلفظ صاحب الكلام إنما بلغ غيره، كما يقال روى الحديث بلفظه وإنما يبلغه بصوت نفسه لا بصوت صاحب الكلام.

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٠٥/١
(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٤/٣

واللفظ في الأصل مصدر لفظ يلفظ لفظا وكذلك التلاوة والقراءة مصدران لكن شاع استعمال ذلك في نفس الكلام الملفوظ المقروء المتلو (١) ، وهو المراد باللفظ في إطلاقهم فإذا قيل لفظي أو اللفظ بالقرآن مخلوق أشعر أن هذا القرآن الذي يقرؤه ويلفظ به مخلوق، وإذا قيل لفظي غير مخلوق، أشعر أن شيئا مما يضاف إليه غير مخلوق، وصوته وحركته مخلوقان، لكن كلام الله الذي يقرؤه غير مخلوق، والتلاوة قد يراد بها نفس الكلام الذي يتلى وقد يراد بها نفس حركة العبد، وقد يراد بها مجموعها، فإذا أريد بها الكلام نفسه الذي يتلى فالتلاوة هي المتلو، وإذا أريد بها حركة العبد فالتلاوة ليست هي المتلو، وإذا أريد بها المجموع فهي متناولة للفعل والكلام فلا يطلق عليها أنها المتلو ولا أنها غيره.

ولم يكن أحد من السلف يريد بالتلاوة ومجرد قراءة العباد وبالمتلو مجرد معنى واحد يقوم بذات الباري تعالى، بل الذي كانوا عليه أن القرآن كلام الله تكلم الله به بحروفه ومعانيه ليس شيء منه كلاما لغيره، لا لجبريل ولا لمحمد ولا لغيرهما، بل قد كفر الله من جعله قول البشر، مع أنه سبحانه أضافه تارة إلى رسول من البشر وتارة إلى رسول من الملائكة، فقال تعالى: " إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون، تنزيل من رب العالمين " فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال تعالى: " إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند العرش مكين، مطاع ثم أمين، وما صاحبكم بمجنون، ولقد

---

(١) يعبر عن الأول بالمعنى المصدري وعن الثاني بالحاصل بالمصدر." (١)

"كلاب، ثم افترق موافقوه، فمنهم من قال ذلك الكلام معنى واحد هو الأمر بكل مأمور، والنهي عن كل محظور، والخبر عن كل مخبر عنه، إن عبر عنه بالعربية كان قرآنا، وإن عبر عنه بالعبرية كان توراة، وقالوا معنى القرآن والتوراة والإنجيل واحد، ومعنى آية الكرسي هو معنى آية الدين، وقالوا الأمر والنهي والخبر صفات الكلام لا أنواع له، ومن محققيهم من جعل المعنى يعود إلى الخبر والخبر يعود إلى العلم.

وجمهور العقلاء يقولون قول هؤلاء معلوم الفساد بالضرورة، وهؤلاء يقولون تكليمه لموسى ليس إلا خلق إدراك يفهم به موسى ذلك المعنى، فقيل لهم: أفهم كل الكلام أم بعضه؟ إن كان فهمه كله فقد علم علم الله، وإن كان فهم بعضه فقد تبعض، وعندهم كلام الله لا يتبعض ولا يتعدد، وقيل لهم: لقد فرق الله بين تكليمه لموسى وإيحائه لغيره، وعلى أصلكم لا فرق، وقيل لهم: قد كفر الله من جعل القرآن العربي قول البشر، وقد جعله تارة قول رسول من البشر، وتارة قول رسول من الملائكة، فقال في موضع: " إنه لقول رسول كريم وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون " فهذا الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في الآية الأخرى: " إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين " فهذا جبريل، فأضافه تارة إلى الرسول الملكي وتارة إلى الرسول البشري، والله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، وكان بعض هؤلاء ادعى أن القرآن العربي أحدثه جبريل أو محمد فقيل لهم: لو أحدثه أحدهما لم يجز إضافته إلى الآخر، وهو سبحانه إضافة إلى كل منهما باسم الرسول الدال على مرسله لا باسم الملك والنبي، فدل على ذلك على أنه

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ٢٤/٣

قول رسول بلغه عن مرسله لا قول ملك أو نبي أحدثه من تلقاء نفسه، بل قد كفر من قال أنه قول البشر.
والطائفة الأخرى التي وافقت ابن كلاب على أن الله لا يتكلم بمشيئته وقدرته." (١)

"ولا حكمة تعود إليه، وكذلك في الكلام أولئك أثبتوا كلاما هو فعله لا يقوم به، وهؤلاء يقولون ما لا يقوم به لا تعود حكمته إليه، والفريقان يمنعون أن تقوم به حكمة مرادة له، كما يمنع الفريقان أن يقوم به كلام وفعل يريده، وقول أولئك أقرب إلى قول السلف والفقهاء إذ أثبتوا الحكمة والمصلحة في أفعاله وأحكامه، وأثبتوا كلاما يتكلم به بقدرته ومشيئته، وقول هؤلاء أقرب إلى قول السلف إذ أثبتوا الصفات وقالوا: لا يوصف بمجرد المخلوق المفصل عنه الذي لم يقم به أصلا، ولا يعود إليه حكم شيء لم يقم به، فلا يكون متكلما بكلام لم يقم به، ولا قديرا بقدرة لم تقم به، فكل من المعتزلة والأشعرية في مسائل كلام الله وأفعال الله وافقوا السلف والأئمة من وجه وخالفوهم من وجه، وليس قول أحدهم قول السلف دون الآخر، لكن الأشعرية في جنس مسائل الصفات والقدر أقرب إلى قول السلف والأئمة من المعتزلة.

فإن قيل: فقد قال تعالى " إنه لقول رسول كريم " وهذا يدل على أن الرسول أحدث الكلام العربي، قيل: هذا باطل، وذلك أن الله ذكر هذا في موضعين والرسول في أحد الموضعين محمد والرسول في الآية الأخرى جبريل، قال تعالى في سورة الحاقة " إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون " الآية، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم، وقال في سورة التكوير " إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين " فالرسول هنا جبريل، فلو كان أضافه إلى الرسول لكونه أحدث حروفه أو أحدث منه شيئا لكان الخبران متناقضين، فإنه إن كان أحدهما الذي أحدثها امتنع أن يكون الآخر هو الذي أحدثها.

وأيضا فإنه قال " لقول رسول كريم " ولم يقل لقول ملك ولا نبي، ولفظ الرسول يستلزم مرسلا له، فدل ذلك على أن الرسول مبلغ له عن مرسله لا إنه أنشأ منه شيئا من جهة نفسه، وهذا يدل على أنه أضافه إلى الرسول لأنه بلغه وأداه، لا لأنه أنشأ منه شيئا وابتدأه." (٢)

"وأيضا فإن الله قد كفر من جعله قول البشر بقوله " إنه فكر وقدر، فقتل كيف قدر " (١) ، ومحمد بشر، فمن قال إنه قول محمد فقد كفر، ولا يفرق بين أن يقول بشر أو جني أو ملك، فمن جعله قولا لأحد من هؤلاء فقد كفر، ومع هذا فقد قال " إنه لقول رسول كريم، ما هو بقول **شاعر** " فجعله قول الرسول البشري مع تكفيره من يقول إنه قول البشر، فعلم أن المراد بذلك أن الرسول بلغه عن مرسله، لا أنه قوله من تلقاء نفسه، وهو كلام الله تعالى الذي أرسله، كما قال تعالى " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله " فالذي بلغه الرسول هو كلام الله تعالى لا كلامه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموقف ويقول " ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي " رواه أبو داود وغيره، والكلام كلام من قاله مبتدئا لا كلام من قاله مبلغا مؤديا. وموسى سمع كلام الله بلا واسطة والمؤمنون يسمعه بعضهم من بعض، فسماع موسى سماع مطلق بلا واسطة، وسماع الناس

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ٤٣/٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ٩٩/٣

سماع مقيد بواسطة، كما قال تعالى " وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا التكليم أو من وراء حجاب " ففرق بين التكليم من وراء حجاب كما كلم موسى بين التكليم بواسطة الرسول كما كلم الأنبياء بإرسال رسوله إليهم، والناس يعلمون أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بكلام تكلم بحروفه ومعانيه بصوته صلى الله عليه وسلم ثم المبلغون عنه يبلغون كلامه بحركاتهم وأصواتهم كما قال صلى الله عليه وسلم: " نضر الله امرأ سمع منا حديثا فبلغه كما سمعه " فالمستمع منه مبلغ حديثه كما سمعه، لكن بصوت نفسه لا بصوت الرسول، فالكلام هو كلام الرسول تكلم به بصوته، والمبلغ بلغ كلام رسول الله بصوت نفسه.

---

(١) يعني إلى قوله (إن هذا إلا قول بشر)." [١]

"أخبر أنه منزل منه، وأخبر بتنزيل مطلق في مثل قوله: " وأنزلنا الحديد " لأن الحديد ينزل من رؤوس الجبال لا ينزل من السماء، وكذلك الحيوان فإن الذكر ينزل الماء في الإناث، فلم يقل فيه من السماء، ولو كان جبريل أخذ القرآن من اللوح المحفوظ لكان اليهود أكرم على الله من أمة محمد، لأنه قد ثبت بالنقل الصحيح أن الله كتب لموسى التوراة وأنزلها مكتوبة (١) فيكون بنو إسرائيل قد أقروا الألواح التي كتبها الله، وأما المسلمون فأخذوه عن محمد صلى الله عليه وسلم، ومحمد أخذه عن جبريل وجبريل عن اللوح، فيكون بنو إسرائيل بمنزلة جبريل، وتكون منزلة بني إسرائيل أرفع من منزلة محمد صلى الله عليه وسلم على قول هؤلاء الجهمية، والله سبحانه جعل من فضائل أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أنه أنزل عليهم كتابا لا يغسله الماء وإنه أنزله عليهم تلاوة لا كتابة، وفرقه عليهم لأجل ذلك، فقال: " وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا " وقال تعالى: " وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ".
ثم إن كان جبريل لم يسمعه من الله وإنما وجده مكتوبا كانت العبارة عبارة جبريل وكان القرآن كلام جبريل ترجم به عن الله كما يترجم عن الأخرس الذي كتب كلاما ولم يقدر أن يتكلم به وهذا خلاف دين المسلمين.
وإن احتج محتج بقوله " إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند العرش مكين " قيل له فقد قال في الآية الأخرى " إنه لقول رسول كريم، وما هو بقول **شاعر** قليلا ما تؤمنون، ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون " فالرسول في هذه الآية محمد صلى الله عليه وسلم والرسول في الأخرى جبريل، فلو أريد به أن الرسول أحدث عبارته لتناقض

---

(١) المراد بالتوراة هنا أصول الشريعة وهي الوصايا التي في الالواح لا كل أحكام الشريعة من عبادات واحتفالات وعقوبات وغيرها فان هذه شرعت بالتدريج وهذا مجمع عليه عند اليهود." [٢]

"الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار؟)
وقال (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون؟)

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٠٠/٣

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ١٤٤/٣

وقد بين حال من تشبه بالأنبياء وبأهل العلم والإيمان من أهل الكذب
والفجور الملبوس عليهم اللابسين. وأخبر أن لهم تنزلا ووحيا ولكن من الشياطين،
فقال تعالى (وأن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم
لمشركون) وقال تعالى (هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟ تنزل على كل أفاك
أثيم) وأخبر أن كل من ارتد عن دين الله فلابد أن يأتي الله بدله بمن يقيم دينه المبين،
فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم
ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) .
وذلك أن مذهب هؤلاء الملاحدة فيما يقولونه من الكلام وينظمونه من الشعر بين
حديث مفترى وشعر مفتعل. واليهما اشار أبو بكر الصديق رضي الله عنه – لما
قال له عمر بن الخطاب في بعض ما يخاطبه به: يا خليفة رسول الله تألف الناس. فأخذ
بلحيته وقال: يا ابن الخطاب، أجبارا في الجاهلية خوارا في الإسلام؟ علام أتألفهم؟
أعلى حديث مفترى؟ أم شعر مفتعل؟ يقول: إني لست أدعوهم إلى حديث مفترى
كقرآن مسيلمة، ولا شعر مفتعل كشعر طليحة الاسدي.
وهذان النوعان هما اللذان يعارض بهما القرآن أهل الفجور والافك المبين،
قال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون ومالا تبصرون إنه لقول رسول كريم) إلى آخر
الآية وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين) الآيات إلى
قوله تعالى (وما تنزلت به الشياطين) إلى آخر السورة. فذكر في السورة علامة الكهان
الكاذبين، والشعراء الغاوين، ونزهة عن هذين الصنفين كما في سورة الحاقة. وقال تعالى
(إنه لقول رسول كريم * ذي قوة عند ذي العرش مكين) إلى آخر السورة. فالرسول
هنا جبريل. وفي الآية الأولى محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا نزه محمدا هناك أن يكون شاعرا
أو كاهنا ونزه هنا الرسول إليه أن يكون من الشياطين." (١)

"الرابع: الاتحاد العام وهو قول هؤلاء الملاحدة الذين يزعمون أنه عين وجود الكائنات، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى من وجهين: من جهة أن أولئك قالوا أن الرب يتحد بعبده الذي قربه واصطفاه بعد أن لم يكونا متحدين، وهؤلاء يقولون ما زال الرب هو العبد وغيره من المخلوقات ليس هو غيره (والثاني) من جهة أن أولئك خصوا ذلك بمن عظموه كالمسيح وهؤلاء جعلوا ذلك ساريا في الكلاب والخنازير والقذر والأوساخ، وإذا كان الله تعالى قال (لقد كفر الذين قالوا أن الله هو المسيح بن مريم) الآية. فكيف بمن قال أن الله هو الكفار والمنافقون والصبيان والمجانين والأنجاس والأنتان وكل

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ٣/٤

شيء؟ وإذا كان الله قد رد قول اليهود والنصارى لما قالوا (نحن أبناء الله وأحباؤه) وقال لهم (قلم فلم يعذبكم بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق) الآية. فكيف بمن يزعم أن اليهود والنصارى هم أعيان وجود الرب الخالق ليسوا غيره ولا سواه؟ ولا يتصور أن يعذب إلا نفسه؟ وأن كل ناطق في الكون فهو عين السامع؟ كما في قوله صلى الله عليه وسلم " إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت بها أنفسها " وإن الناكح عين المنكوح، حتى قال **شاعرهم**. (١)

واعلم أن هؤلاء لما كان كفرهم في قولهم: أن الله هو مخلوقاته كلها أعظم من كفر النصارى بقولهم (أن الله هو المسيح بن مريم) فكان النصارى ضلال أكثرهم لا يعقلون مذهبهم في التوحيد إذ هو شيء متخيل لا يعلم ولا يعقل، حيث يجعلون الرب جوهرا واحدا ثم يجعلونه ثلاثة جواهر، ويتأولون ذلك بتعدد الخواص والأشخاص التي هي الأقانيم، والخواص عندهم ليست جواهر، فيتناقضون مع كفرهم، كذلك هؤلاء الملاحدة الاتحادية ضلال أكثرهم لا يعقلون قول رؤوسهم ولا يفقهونه، وهم في ذلك كالنصارى، كلما كان الشيخ أحمق وأجهل، كان بالله أعرف، وعندهم أعظم، ولهم حظ من عبادة الرب الذي كفروا به كما للنصارى. هذا ما دام أحدهم

---

(١) سقط من الأصل هذا الشعر وقد يعرف مما سبق من أشعارهم." (١)

"يكن له كفوا أحد) وقوله (وإن أحد من المشركين استجارك) وقوله (ذرني ومن خلقت وحيدا) وأمثال ذلك يناقض ما ذكروه فإن هذا الأسماء أطلقت على قائم بنفسه مشار إليه يتميز منه شيء عن شيء، وهذا الذي يسمونه في اصطلاحهم جسما. وكذلك إذا قالوا الموصوفات تتماثل والأجسام تتماثل والجواهر تتماثل، وأرادوا أن يستدلوا بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) على نفي مسمى هذه الأمور التي سموها بهذه الأسماء في اصطلاحهم الحادث، كان هذا افتراء على القرآن، فإن هذا ليس هو المثل في لغة العرب ولا لغة القرآن ولا غيرهما. قال تعالى (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) فنفى مماثلة هؤلاء مع اتفاقهم في الإنسانية فكيف يقال أن لغة العرب توجب أن كل ما يشار إليه مثل كل ما يشار إليه، وقال تعالى (ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد، التي لم يخلق مثلها في البلاد) فأخبر أنه لم يخلق مثلها في البلاد وكلاهما بلد فكيف يقال أن كل جسم فهو مثل لكل جسم في لغة العرب، حتى يحمل على ذلك قوله (ليس كمثله شيء) .وقد قال **الشاعر**: ليس كمثل الفتى زهيروقال: ما إن كمثلهم في الناس من بشرولم يقصد هذا أن ينفي وجود جسم من الأجسام، وكذلك لفظ التشابه ليس هو التماثل في اللغة قال تعالى (وأتوا به متشابها) وقال تعالى (متشابها وغير متشابه) ولم يرد به شيئا هو مماثل في اللغة، وليس المراد هنا كون الجواهر متماثلة في العقل وليست متماثلة. فإن هذا مبسوط في موضعه بل المراد أن أهل اللغة التي بها نزل القرآن لا يجعلون مجرد هذا موجبا لإطلاق اسم المثل، ولا يجعلون نفي المثل نفيا لهذا فحمل القرآن على ذلك كذب على القرآن.

فصل

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية - رشيد رضا ابن تيمية ٤/٢٥

وقول القائل " المناسبة " لفظ مجمل فإنه قد يراد بها التولد والقرابة فيقال: هذا نسيب فلان ويناسبه. إذا كان بينهم قرابة مستندة إلى الولادة والآدمية والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك، ويراد بها المماثلة فيقال: هذا يناسب هذا." (١)

(١) مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية – رشيد رضا ابن تيمية ٦٥/٥